الحرمل AL harmal

السنة الأولى / العدد الثاني عشر / 15 آذار 2015

الحريـة دائمـاً
Her Daim Özgürlük

Alharmal Dergisi — Kültür - Siyasi - 15 günde bir

ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع منظمة بيت الرقة لكل السوريين

في الذكرى الرابعة للثورة السورية أطفال يرسمون سوريا الحرة بألوان قوس قزح

إفتتاحية العدد

من وقائع الثورة السورية أيام للألم والافتخار!

بسام البليبل

اليوم الأول:

كثيرةٌ هي أيام اجتراع الألم في الثورة السورية، ولكن أكثر منها أيام الافتخار، غير أنّ يوم ٢٠١٢/٣/١٥ كان يوماً للألم والافتخار في آن، يوم أن خرجت تظاهرة حاشدة في شارع الكنيسة في الرقة، سقط على إثرها الشهيد علي البابنسي برصاص الأمن الذي أراد تفريق المظاهرة بالقوة، وعندما حاول الاستيلاء على جثمانه، منعه أصحابه ورفاق دربه، واستمروا في التظاهر حتى صباح اليوم التالي مع بث مباشر لهذا الحدث، مسجلين أطول تظاهرة وبث مباشر في تاريخ الثورة السورية، ثم ما لبثت جنازة الشهيد البابنسي أن كانت أطول موكب دفن في تاريخ الثورة السورية أيضاً، حيث بلغ طولها أكثر من خمسة كيلومترات، وبعد أن تم الدفن في مقبرة تل البيعة، بدا كما لو أنّ أصحابه قد بايعوه على الشهادة عندما نزلوا إلى ساحة التحرير لهدم الصنم، فكانت المجزرة التي أودت، بحسب بعض التقديرات، بأكثر من خمسين شهيداً، منهم: محمد قحطان السيد أحمد الحاج عبو، مصطفى الزنة، أحمد الحملة، حمد خالد الجرداوي، عبد السلام أدهم حاج كولي، عبد الله أحمد اليوسف، قصي ربيع الصبار الهنداوي، قصي ربيع خليل الحسن، محمود الفاضل، مصطفى العبود، محمد العلي الصالح..

فكتبتُ:

غضب الفراتُ فأُرعدَ الغضبُ — وطغى المسيلُ فموجه لجِبُ
فعلى التلاعِ قشاعمٌ شُهبٌ — وضياغمٌ في السهلِ تصطخبُ
يا من رآهم حينما انتفضوا — قد قصّروا الأردان وانتسبوا
والموت أجفل من بسالتهم — لمّا على لبّاته وثبوا
يا ثورة البركانِ كيف لهم — أن يخمدوا البركان يلتهبُ

اليوم الثاني:

تعاهد الثوارُ على تحرير الرقة، وأقسموا اليمين على عدم البقاء فيها بعد التحرير، فما كان إلّا أن ارتفعت صيحات التكبير في سماء الرقة فجر ٢٠١٣/٣/٤ معلنةً تحرير الرقة، تحت شعار «غارة الجبار»، التي كانت ملحمة للبطولة والفداء، فكانت هذه الأبيات:

في الرقتين على الآفاق تكبيرُ — يا غارة الله هل هذي التباشيرُ
إنّا نهضنا إلى الجُلّى تخاتلنا — قذائف الموت تحدوها المقاديرُ
وما رهبنا وللأهوال رهبتها — وما اعتذرنا فللجبن المعاذيرُ
ومن دمانا شقيقٌ في مرابعنا — وللشهيد أساريرٌ هي النورُ

فكانت الرقة أول مدينة سورية محررة، ولكن للأسف ضيّعها أهلها، والمعارضة التي تركتها وحدها، فكانت أكبر أخطاء الائتلاف والجيش الحر.

اليوم الثالث:

صبيحة ٢٠١٣/٣/٥ النظام يشن غارات جوية تستهدف المدنيين فيما بدا أنها عملية إبادة جماعية، انتقاماً من أهالي الرقة، أول مدينة تخرج عن سلطة الأسد ونظام البعث، مثلما كانت عام ١٩٢٠ أول مدينة تتمرد على الانتداب الفرنسي، وتبقى خارج حدود سلطته يرفرف عليها العلم العربي لمدة ١٥ شهراً، ولكن طيران النظام اليوم أعتى من غارات الفرنسيين عام ١٩٢٠ على الرقة، غير أنّ هذه الغارات لم ترهبنا، فكان أول تداعي لتجمع مدني تحت القصف الجوي باسم «ائتلاف أبناء الرقة» الذي أعقبه عشرات التجمعات المدنية.

وفيما نكّثت الكتائب المقاتلة بقسمها واستساغت دعم السلطة، ومضت في فرض سيطرتها بمواجهة المد المدني، كان الإصرار من التنسيقيات، والتجمعات المدنية، والإعلام البديل على التحدي والبقاء، فكانت هذه الأبيات:

سألتْ وملء سؤالها الوجلُ — أَوَ لن تغادر أيّها الرجلُ
هذا الحمى عاث البغاة بهِ — يا ويح قلبي كيف أحتملُ
أَوَ ما ترى أشراكهم نُصبتْ — والغدرُ شاع وشاعت الغِيَلُ
فأجابها في حزم معتزمٍ — وبرقةٍ أوحتْ بها المقلُ
إني رهين المحبسين هنا — أرضي وهذي الأعين النجلُ

ولكن طغى الموج على السابح، وعصفت اللجةُ بالسفين، فكان النزوح الأول للمدن المحررة، وكانت الحرمل في الغربة – مع جهود كل المخلصين للثورة - بلسماً للألم ومبعثاً للأمل.

رحلة الى مخيم جيلان بينار
أيها القادم إلى مخيم جيلان بينار لا تتوقف عند الباب الخارجي, ولا تحصي العائلات المبعثرة هناك.. 3

العام الخامس للثورة آفاق وتحديات
أربع سنوات مرت على الثورة السورية، والإعلام العربي والعالمي لم يزل يتداول وجوهنا، ويصدّر أصواتنا في كل اتجاه.. 6

استعصاء الانتصار وجذوة الأمل
إذا كانت الثورة كتعريف أو كمصطلح سياسي تعني التغيير الشامل لوضع عياني، بمعنى التغيير الكامل لنظام الحكم القائم 7

الثورة والنهج الأمريكي الجديد
بعد انهيار المنظومة الاشتراكية يقوم على إدارة العالم بالأزمات, وهو على خلاف عميق مع النهج القديم القائم على إدارة أزمات العالم. 10

يا أشراف روما استردوا شرفكم المهان!
يولد الديكتاتور وعلى شفتيه ابتسامة بريئة كأي طفل عادي.. ولكن الديكتاتور كائن طفيلي يعتاش على مساحة هائلة من الخوف.. 12

الثورة السورية تدخل عامها الخامس..

الرقة عاصمة التحرير

حسام عيسى

أربع سنوات انقضت على الثورة السورية وها هي تدخل عامها الخامس, وأربع سنوات مضت على الرقة التي تبدّلت وتغيرت كثيراً، ودخلت التاريخ من أوسع أبوابه وسجلت العديدَ من الأرقام القياسية. أربع سنوات ولا يلوح في الأفق أي انفراج على المشهد العام ولكن هنالك بالرقة الصورة أعقد وأصعب والمشهد سوداويٌ أكثر من بقية المشاهد

البداية ومرحلة السلمية:

مع بدء شرارة الثورة السورية، وما جرى في درعا، تحركت مجموعة من المعارضين السياسيين من أجل القيام بخطوة لمواكبة الأحداث الجارية بالبلاد فكانت الدعوة لأول مظاهرة في محافظة الرقة يوم الجمعة ٢٠١١/٣/٢٥ حدد فيها المكان بجامع الفردوس بالرقة، ووصل الخبر إلى كل المهتمين بالموضوع، وحتى إلى مسامع الأمن واللجان الحزبية. سبق التظاهرة يوم الخميس ٢٠١١/٣/٢٤ مسيرة سيارات لمؤيدي النظام تراقصوا فيها على قرار النظام بزيادة في الراتب فكانت تلك المسيرة عامل تهييج وتأليب لتظاهرة الجمعة التي كان عدد المشاركين فيها قرابة ٣٠٠ شخص، وهتفت للحرية ودرعا لكن عدد الموالين الذين قدموا من الأرياف لعمليات القمع كان أكبر من عدد المتظاهرين مما أدى إلى تحول المظاهرة إلى مسيرة مؤيدة من بعد سيرها أكثر من ٦٠٠ متر حيث تجمّع المؤيدون والشبيحة من كل حدب وصوب وكانت هنالك ملاحقات للموجودين، الأمر الذي أفضى إلى اعتقال ثلاثة أشخاص.

لم يقف الأمر عند ذلك بل استمر الحراك السلمي فكانت هنالك مظاهرات أخرى، وازداد عدد نقاط التظاهر يوماً بعد يوم. واهم التظاهرات السلمية هي:

- مسائية شارع تل أبيض نيسان ٢٠١١ ثم مظاهرة شارع الوادي بتاريخ ٢٠١١/٤/٢٤
- مظاهرة المشلب بتاريخ ٢٠١١/٦/١ حيث تم خلالها إطلاق النار على المتظاهرين وجرح ٣ شبان.
- اعتصام المحامين الأحرار بالقصر العدلي بالرقة ٢٠١١/٨/١٦ وهو الاعتصام الأول من نوعه على مستوى النقابات، وتم على إثره اعتقال عدد من المحامين والمحاميات.
- بركان الرقة ٢٠١١/١٢/١٥ وكان تحدياً للأمن والشبيحة. خرجت التظاهرة رغماً عنهم في شارع ٢٣ شباط وأمام أعين عناصر الأمن الذين حاولوا قمع التظاهرة، واعتقل خلالها العديد من الأشخاص.
- التظاهرات اليومية برمضان ٢٠١١ والتي سجل بها مشاركة ما يزيد عن ألف متظاهر عند جامع الحني، وشارع المنصور، والتي قام الأمن خلالها باستخدام الشبيحة وتجنيدهم بشكل مباشر لقمع التظاهرات بالأحياء.
- زيارة المراقبين العرب ٢٠١٢/١/١٩ وخروج أكثر من خمس مظاهرات بالمدينة، وأكبرها كانت أمام لجنة المراقبين العرب، حيث تم اعتقال وإطلاق الغازات المسيلة للدموع أمام اللجنة.
- ذكرى مجزرة حماه ٢٠١٢/٢/٢ حيث استطاع المتظاهرون السيطرة على شارع الوادي و٢٣ شباط ودوار الدلة، واستمر الحراك حينها ٣ أيام متتالية، وتم دهس أحد الأطفال بسيارة تابعة للأمن العسكري، وتم تسجيل دخول العربات التابعة للجيش بدوار الدلة، وإطلاق الرصاص بالهواء لإخافة المتظاهرين وترويع الأهالي.
- ذكرى قيام الثورة السورية ٢٠١٢/٣/١٥ حيث سجلت المدينة أكثر من ١٠ نقاط تظاهر، وتم خلالها إطلاق النار على المتظاهرين، وسقوط أول شهداء للثورة السورية بالرقة ٤ شهداء، منهم الشهيد علي البابنسي، حيث تجمع الأهالي عند

بيت الشهيد لحماية الجثمان من السرقة، ومن ثم تشييعه حيث سُجلت بذلك اليوم أطول مظاهرة ٢٠ ساعة تظاهر، وبث تلفزيوني متواصل، وخرج في التشييع أغلب سكان المدينة ليصبح العدد قرابة ٣٠٠ ألف مشيع، وعلى إثرها تم سقوط أعداد إضافية من الشهداء نذكر منهم محمد قحطان الحاج عبو، وأحمد ومصطفى الزنا، حيث استمر الحراك لمدة ٤ أيام وعلى إثره دخل الجيش للمدينة، وقام بتقطيعها مع حملة اعتقالات كبيرة طالت ١٠٠٠ شخص بالإضافة إلى وقوع ٦٣ شهيداً وأكثر من ١٠٠ مصاب برصاص الأمن والجيش.

- التظاهرات الطلابية التي نشطت بالعام الثاني للثورة مثل:
  - تظاهرات مدرسة ابن خلدون والرشيد
  - تظاهرات مدرسة حميدة وبلقيس للبنات
  - تظاهرات كلية الهندسة المدنية بالرقة
  - تظاهرات كلية الآداب بالرقة والهندسة الزراعية

ثم انخفضت وتيرة الحراك السلمي بالرقة بسبب قدوم آلاف العائلات النازحة من بقية المحافظات للرقة حتى وصل العدد برمضان ٢٠١٢ إلى ما يقارب ١,٢٥٠,٠٠٠ شخص قدموا للمحافظة خصوصاً من بعد الهجمة الشرسة للنظام على دير الزور والتي أدت إلى نزوح كبير من محافظة دير الزور للرقة ما تسبب بعبء على النشطاء الذين تحولوا إلى نشطاء إغاثة على حساب الحراك السلمي ولإشعار النازحين بالأمان.

- تسجيل أكبر إضراب بتاريخ الثورة السورية بمحافظة الرقة حيث بلغت نسبة المشاركين بالإضراب ٩٨٪ من المدينة لم يستطع الأمن ولا الشبيحة كسر هذا الإضراب بتاريخ ٢٠١٢/١٢/٢٩ يضاف لها تظاهرات بشارع تل أبيض.

- تظاهرة جمعة (الرقة الأبية على طريق الحرية) ٢٠١٣/٢/٢٢ والتي سقط خلالها شهيدان وعدد من الجرحى وكانت بداية تحرير المدينة.

المرحلة المسلحة:

تأخرت محافظة الرقة كثيراً في العسكرة، ولم يلجأ إليها أهلها إلا من بعد سقوط الشهداء واليأس الذي أصاب عدداً من ناشطيها، والذين عملوا على تشكيل أولى الكتائب من أجل حماية المتظاهرين وحماية أنفسهم.

أولى الأعمال العسكرية كانت محاولة استهداف تمثال المقبور حافظ الأسد الذي تسبب بمقتل العشرات من الشهداء في ذكرى الثورة السورية، ولم تنجح عملية استهداف التمثال بتاريخ ٢٠١٢/٤/٩

- سجل أول تشكيل كتيبة بالرقة بتاريخ ٢٠١٢/٣/١٩ باسم أحفاد الرشيد، وأول العمليات كانت لكتيبة القادسية بريف مدينة سلوك بتاريخ تموز ٢٠١٢ حيث ازداد عدد حاملي السلاح بالريف الشمالي رويداً رويداً.
- تحرير مدينة تل أبيض بتاريخ ٢٠١٢/٩/١٩ ومعبرها مع الجانب التركي لتبدأ عمليات تحرير الريف الشمالي بالكامل والزحف باتجاه المدينة.

بحزيران ٢٠١٣ والتي أدت إلى تفجير محطة القطار بالرقة بسيارة مفخخة كانت في أحد مقار أحفاد الرسول، ووقوع العديد من القتلى بصفوف المدنيين.

بدأت حينها عمليات الانقضاض على الفصائل الصغيرة ومحاولة الكتائب التوحد والتجمع خوفاً من محاولات التنظيم السيطرة على المشهد بالكامل إلى أن وصل الأمر إلى بقاء ٣ فصائل فقط هي

- حركة أحرار الشام
- جبهة النصرة

- تحرير مدينة الطبقة وريفها بالكامل بتاريخ ٢٠١٣/٢/١١
- تحرير سد الرشيد (الفاتح) بتاريخ ٢٠١٣/٢/٣
- تحرير مدينة معدان ٢٠١٣/١/١٨
- تحرير مدينة الكرامة ٢٠١٢/١١/٢٧
- محاصرة السجن المركز ومن ثم إعلان عمليات تحرير الرقة المدينة بمسمى غارة الجبار بتاريخ ٢٠١٣/٣/٢ والتي كانت لمجرد ضرب المراكز الأمنية بالمدينة والمقار الأمنية والتي انتهت بتحرر المدينة بتاريخ ٢٠١٣/٣/٧ بعد سقوط آخر معاقل النظام بالمدينة الأمن العسكري والأمن السياسي بشكل نهائي بيد الفصائل المشاركة بعملية التحرير.

وبذلك باتت الرقة خارج سيطرت النظام بشكل كامل ما عدا:

- مقر الفرقة ١٧
- اللواء ٩٣
- مطار الطبقة العسكري

مرحلة التحرير:

شهدت مدينة الرقة خلال الأشهر الأولى من تحريرها نشاطاً مدنياً واسعاً حيث تشكل في المحافظة ما يزيد عن ٤٠ تجمع شبابي بالإضافة إلى عدد من المراكز الإعلامية التي تنقل الوضع الميداني بالمحافظة، وتوافد العديد من الصحف ووكالات الأنباء العالمية, وحاولت الجهات المدنية بالتعاون مع بعض فصائل الجيش الحر إدارة الحياة المدينة، واستطاعت أن ترقى بالمدينة من حيث الخدمات إلى الذروة حيث استطاعت المجالس المحلية تقديم الخدمات بصورة قياسية بالمقارنة مع بقية المناطق السورية وحتى التي لازال قسم منها تحت سيطرة النظام لكن كل ذلك ترافق مع انتشار الفصائل المتطرفة وتغوّلها، وانتشر حينها مسلسل الخطف الذي طال النشطاء المدنيين وعمليات الاغتيال، والتي تبين بعد فترة أن تنظيم الدولة هو من كان يقف وراءها بهدف إسكات الشارع.

إلى أن كانت المواجهة الأولى وبشكل مباشر بين فصيل أحفاد الرسول وتنظيم داعش

- تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»

ومع الوقت ازدادت حالة التوتر إلى أن بدأت المعركة ما بين حركة أحرار الشام وجبهة النصرة ولواء ثوار الرقة حينها من جهة وتنظيم داعش من جهة أخرى وانتهت المعركة بسيطرة التنظيم على المحافظة بسبب انسحاب أحرار الشام منها، وكذلك عدم وقوف جبهة النصرة مع مقاتليها بالرقة وترك لواء ثوار الرقة حينها وحيداً بالمعركة. ولتجنيب الخسائر الكبيرة بصفوف المدنيين انسحب اللواء لتصبح الرقة هي المحافظة الوحيدة المسيطر عليها من قبل أكبر تنظيم إرهابي عرفه التاريخ.

مرحلة الاحتلال من قبل داعش:

منذ سيطرة تنظيم داعش على محافظة الرقة بدأ بتطبيق مشروعه على المحافظة وتحويلها إلى مدينة تعيش في القرن ١٤ للميلاد حيث أوقف التنظيم التعليم وأصدر عدة قرارات ضيقت على المرأة، وعلى الطلبة ولاحق خلالها النشطاء ونكّل بهم وأطبق الحصار على أي معلومة من شأنها نقل صورة ما يجري بالمحافظة، وباتت المحافظة نقطة مظلمة لا أحد يعلم ما يجري بها، وهنا كانت بداية انطلاق حملة تعرف العالم بما يجري بتلك البقعة من العالم وكانت باسم (حملة الرقة تذبح بصمت)، وقد ساهمت الحملة في نقل كل ما يجري على الأرض بالرقة من انتهاكات لتنظيم داعش والجرائم المرتكبة بحق المدنيين والإجراءات التعسفية والسرقات وما يعيشه أهل المدينة من فقر وضائقة مادية، ولم تتجاهل الجرائم المرتكبة من قبل النظام بحق المدنيين من قصف لطائرته والمجازر التي تسبب بها قصف النظام للمدينة خلال الربع الأخير للعام ٢٠١٤ والتي راح ضحيتها ما يقارب من ٤٠٠ شهيد .

أرقام تقريبية:

- بلغ عدد المعتقلين من قبل داعش والمغيبين لديها قرابة ٣٠٠٠ شخص
- بلغ عدد المعتقلين من قبل النظام قرابة ٢٠٠٠
- بلغ عدد المظاهرات بالرقة قبل التحرير ٢٠٠٠ مظاهرة
- بلغ عدد الشهداء قرابة ١٥٠٠
- بلغ عدد الجرحى ٤٠٠٠ جريح
- عدد الإعاقات الدائمة ١٨٤
- عدد المتضررين بسبب ظروف الحرب (من قطع رواتبهم من قبل النظام – منع أعمال من قبل داعش – فقدان أعمالهم ....) ٨٥٪ من إجمالي محافظة الرقة.
- بلغ عدد المنازل المدمرة بسبب القصف ٢٠٠ دمار كلي و١٥٠٠ دمار جزئي.
- عدد صواريخ السكود التي أطلقت على محافظة الرقة قرابة ٧٠ صاروخ.

رحلة الى مخيم جيلان بينار

ابتسام شاكوش

أيها القادم إلى مخيم جيلان بينار لا تتوقف عند الباب الخارجي، ولا تحصي العائلات المبعثرة هناك مزودة بحقائب وأكياس تحتوي بعض الثياب والأغطية والمنتظرة دورها للحصول على خيمة، فما زالت براميل الموت ترفد المخيمات والمقابر كل يوم بأرقام جديدة، بل ادخل إلى داخل المخيم وتأمل

في داخل المخيم خليط من كل المحافظات السورية وأريافها، يعيشون جنباً إلى جنب، شعب يحب الحياة، يتمسك بها، يبدأ مشوار الزائر بمنظر خيام كبيرة أعدت لمكاتب الإدارة ومكاتب القبول حيث يتم تسجيل الوافدين ومنحهم بطاقات شخصية كضيوف، ويتم منحهم بطاقتين إضافيتين إحداهما من الآفاد والثانية من الهلال الأحمر التركي، يحصل المقيم بموجبهما على مبلغ من المال يصرف بشكل مواد غذائية وضروريات يشتريها من «المول» داخل المخيم.

على اليسار تجد إدارة التعليم التركية، المسؤولة عن تأمين المواد القرطاسية للمدارس، تليها صالات لتعليم الحلاقة، وصالات تستخدم كرياض للأطفال، وصالة للانترنت. وبعدها ترى المستشفى، أمام المستشفى وفي داخلها عشرات المنتظرين، فالكادر الطبي والتمريضي لا يكفي، وهذه معاناة يومية يعيشها المرضى هنا، ربما

يلتقي الزائر بسيارة تشبه سيارة الإسعاف تدور بين الخيام لجمع المرضى الذين يحتاجون غسيل الكلى، ونقلهم إلى مستشفى أورفا.

المخيم مقسم إلى عشرة أحياء، في كل حي صالتان للمدارس وصالتان للمساجد، مسجد للرجال وآخر للنساء، ترى المدارس دائما مشغولة بتلاميذها، والمساجد خلايا نحل تدوي فيها أصوات حلقات حفظ القرآن الكريم إلى جانب حلقات محو الأمية، والكل يعمل.

لا تستغرب أيها الزائر إذا التقيت في دربك بأطفال حفاة يرتدون بيجامات فصلتها أمهم من بقايا بطانية تالفة، أو التقيت بامرأة ترتدي ثوباً فصلته من نسيج الخيمة المهترئة، أو فصلته من نسيج بطانيات رقيقة لا تصلح كأغطية في هذا الشتاء الصقيعي، فهذا مشهد عادي هنا، السوريون يعرفون كيف يتصرفون بالمتاح، ليعيشوا على الحد الأدنى من الرضا.

في الحي الخامس، وفي صالة كبيرة، أقيم معهد العلم للجميع، الذي يدرس العلوم الشرعية، والعقيدة الإسلامية الصحيحة، لعلنا نحمي الشباب المتعطش للإسلام، من الانجراف في تيارات التطرف، التي استقطبت حماس الشباب، مستغلة جهلهم بحقيقة العقيدة الإسلامية.

في الشارع الرئيسي الفاصل بين رتلين من الأحياء ستجد سوقاً كاملة من البسطات، احتال أصحابها على الموجود من المواد فصنعوا لها جدراناً وأبواباً وأقفالاً، ستجدون فيها الملابس الجديدة والمستعملة والخضار والفواكه، ومطاعم الفلافل واللحوم والحبوب، وأدوات التجميل والعطور، ومكاتب السفر والحوالات وصرف العملات، ستجدون كل شيء هنا.

ادخل أيها الزائر بين الخيام، لتجد كل خيمة

محاطة بأنواع من النباتات، الأزهار والخضار، البقدونس والنعناع، البندورة والكوسا واليقطين، أكمل سيرك إلى الخط الفاصل بين الحي التاسع والعاشر وانظر إلى يمينك، سترى مركز الإطفاء بسياراته الجاهزة دوماً، وموظفيه الذين لا يغفلون، والتفت إلى اليسار، ستجد بناءً مسبق الصنع، يحتوي المدارس الإعدادية والثانوية والتومر، شعب يتهيأ لمرحلة ما بعد الثورة، وينتظر بحرقة، اليوم الذي يعود فيه إلى الوطن، ليعيد بناء ما هدمته يد الغدر، في مراتع الطفولة والصبا، ليعيد بناء وطن نستحق أن نعيش فيه.

الثابت والمتحوّل

ابتسام تريسي

يحيلنا العنوان مباشرة إلى كتاب أدونيس «الثابت والمتحوّل» الذي أثار جدلاً كبيراً بين المثقفين من مريدي مفتي الشعر وناقده الكبير، ومعارضيه. فالثابت الذي وصّفه ونظّر له أدونيس، وانتقده، هو ربط الدولة بالدين، وذلك في الجزء الأول المعنون بـ«الأصول». فالمسلمون الأوائل ارتبطت سلوكياتهم وأفكارهم بالدين كمقياس وأساس للنظرة إلى الغيب وإلى الحياة الإنسانية، وربطوا بين الدين وتنظيم الحياة، وبين الدين واللغة والشعر والفكر، وهكذا قرنوا الفكر والسياسة بالدين. فصحة موقف المفكر والسياسي وحتّى الشاعر ترتبط بصحة دينه.. ومن هنا تجسدت الثقافة الإسلامية العربية عملياً في مؤسسة الخلافة، أي في ظل النظام أو الدولة. وهذا ما سمّاه أدونيس اصطلاحاً «الثابت» وأطلق على الاتجاهات التي تطرح مفاهيم أخرى تسمية «المتحوّل». ما قبل الثورة السورية كان أدونيس واحداً من هؤلاء الذين نستطيع أن نطلق عليهم لقب «المتحوّل» حسب الاصطلاح الذي اعتمده في كتابه. وكان من الثائرين على الأنظمة القامعة، التي تحصر الفكر بها، والتي أخذت أشكالاً مختلفة عبر التاريخ، من الخلافة إلى الرئاسة أو الملكية. لكنّ المفاجئ أنّ أدونيس المعارض للأنظمة الديكتاتورية «والمتحول» ظهر في لقاءات وحوارات عديدة يؤكد فيها أنّ «الثورات عموماً، والثورة السورية خصوصاً، كلّها مفرغة من العلمنة ومشحونة بالنفس الديني، واعتبر الثورة التي تخرج من الجوامع ليست ثورة، وأنّ العنف الذي طبع هذا النزاع كان سبباً في معارضته للحراك. فهو ضد أيّ تحرك يقوم على أساس الدين، ويتحدى رموز الثورة أن يتحدثوا بكلمة واحدة عن العلمنة وقضايا المرأة وإشكاليات المفاهيم الدينية ذات الامتداد لتسيير الواقع وتحري آليات تدبير الناس في حال سقط النظام».

ليس غريباً على مفتي الشعر مثل هذا الكلام، وهو لا يرى من الثورة السورية سوى ما يراه النظام السوري، كيف سيقبل عقله فكرة التحوّل تلك إن لم تكن علمانية بحتة! كان يجب على الشعب السوري الذي حمل السلاح دفاعاً عن حريته وكرامته وعرضه، أن يضع قبل البدء بأيّ خطوة في ثورته نظريات ودساتير، وبيانات، وينصّب من يدافع عن حقوق المرأة، ثم يلتفت لانتشال الجثث من تحت أنقاض براميل بشار الكيماوي وأصدقائه الإيرانيين الذين احتفى أدونيس في كتابه ذاك بثورتهم ١٩٧٩. أخذه وقتها سحر الجماهير الهادرة، وكان يرغب بانتشار العدوى للعرب! مع أنّه انتقد بعض أشكال الممارسات الإيرانية السياسية في فصل «الفقيه العسكري». لكنّه لم يتخذ هذا الموقف الحالم من الثورات العربية فقد كان موقفه حاسماً منذ البداية، وإن أبدى إعجاباً عابراً بالثورة التونسية، ما لبث أن سحبه حين لاحت بوادر وصول الإسلاميين إلى السلطة. فهو ضدّ أي ثورة «تخرج من الجوامع» وضدّ أيّ نظامٍ سياسي يبنى على الدين، ويعتبر العلمانية أحد الشروط الرئيسة لأي بناء سياسي يمكن أن تنتجه الثورة في سوريا أو غيرها.

ليس أدونيس المثقف السوري الوحيد الذي وقف هذا الموقف المعارض للثورة السورية فقط لأنّ صبغتها دينية، بل معظم المثقفين الذين وقفوا في وجه النظام السوري قبل الثورة السورية وكانوا من أشدّ المعارضين له «تحولوا» بعد الثورة إلى مؤيدين لما يفعله الطاغية، بحجة أنّهم لا يريدون نظاماً سياسياً يقوم على الدين الإسلامي. وبشار الأسد يمثل العلمانية بأطيافها حتّى بعد مرور أربعة أعوام على القتل والتشريد والتدمير.

إذن ثورتهم المزعومة قبل أن ينتفض الشعب السوري، كانت وبالمطلق من أجل تغيير من الداخل، يعطيهم بعض المكتسبات، ويبقي عامة الشعب «الرعاع» في القاع الاجتماعي. ومن التحولات العجيبة التي أفرزتها الثورة، تحوّل النابذين للطائفية إلى طائفيين حتّى العظم. وهم أيضاً من فئة المثقفين الذين قرأنا كتبهم عن الاشتراكية والماركسية، والتهمنا ترجماتهم الصادرة عن وزارة الثقافة واتحاد الكتاب لأمهات الكتب العالمية. فهم يدافعون عن أنفسهم ضدّ تهمة الطائفية، لكنّ ممارساتهم الفاضحة تؤكد موافقتهم على الممارسات الطائفية التي يقترفها النظام السوري، ويبني عليها دولته القادمة! الثابت ليس فكراً دينياً قامت عليه الدولة الإسلامية.. الثابت هو المنظومة الفكرية والسياسية التي حكم بها النظام السوري الشعب الحرّ على مدى أربعين عاماً من القمع والقتل والاغتيالات وانتهاك الحرمات، والتغييرات الديموغرافية للبلد التي قضت على الثروة السمكية في سهل الروج، ومواسم القطن، والقمح، وتراجع الإنتاج، وجفاف الأنهر.. وهدم المدن القديمة ومسح ملامحها، واستبدالها بأبنية هشة تنهار بعد سنوات فوق رؤوس أصحابها... وتدمير حماة، وجسر الشغور، وحي المشارقة في الثمانينات.. والتدمير الحاصل الآن لكل بلد خرجت منه مظاهرة تطالب بالحرية.

و«المتحوّل» هو إرادة الشعب السوري في امتلاك حريته وإسقاط النظام بغض النظر عن الوسائل التي يتبعها الآن على أرض الواقع، والتي كانت نتيجة طبيعية للضغوطات الحادة التي مورست عليه في التمويل.

الثابت، هو الجدال العقيم على صفحات التواصل الاجتماعي بين منظّري المعارضة بتشكيلاتها المختلفة ومثقفيها، الذين توقفوا عند خلافاتهم الجزئية حول دور هيئة التنسيق والائتلاف، وأدائهم التقليدي المنتمي إلى ماضيهم السياسي. المتحوّل، هو الشارع السوري المحشور في سفينة يقودها مئة ربّان! والذي ينتظر منه أن يقفز منها، في اللحظة المناسبة، مطيحاً بكلّ المنظّرين، وبكلّ ثابت في الثورة السورية. ابتداءً من الفصائل الإسلامية المسلحة بإرادات غربية وأمريكية وعربية، وانتهاءً بمثقفين لا يرون أبعد من مصالحهم وكراسيهم، تماماً كما يراها سفّاح سوريا الأكبر.

في الثورة السورية ومآلاتها

أحمد الجربا

إخوتي في صحيفة الحرمل الغراء، كم اعتز بمشاركة هذه السطور المتواضعة بين دفتي جريدتكم، التي أثبتت أن الصوت السوري الحر وروح الشباب المتجددة لم ولن تغادر أعظم ثورة عرفها هذا الشرق. لقد أثبتم بتواضع إمكانياتكم أن صوت الحق يحفر بإبرة بوصلته أعتى الجبال، ويصدح أعلى من صوت الجلاد. أنتم يا أمل سوريا تعيدون بجهدكم وصبركم وصلابتكم تصويب الثورة. فها هي شمس الثورة السورية تسطع من شرقها، من مكانها الطبيعي، من حسكة علقت في حنجرة النظام، ولن تقوى عليها حناجر الإرهاب المتحالف مع النظام. من الرقة الصامدة، بصمتها الذي ينذر بعاصفة جديدة أقوى من الأولى. ومن الدير الصابر المجاهد الذي قدم زهرة شبابه في سبيل إعلاء شأن الثورة السورية.

أيها الإخوة لا يخفى عليكم وعلى كل ذي بصيرة، حال ثورتنا وأحوال بلادنا التي تنوء تحت دولتي إرهاب، أسدي داعشي، إضافة إلى إرهاب الاحتلال الإيراني المباشر، الذي غزا بلادنا حاملاً مرتزقته من كل فج عميق، ليرمي بأدرانه الطائفية فوق صدورنا. من هنا يمكن القول إن الشعب السوري اليوم هو في مواجهة أسطورية بكل ما تعنيه الكلمة. نحن نواجه هجمة بربرية من دول وأنظمة وأحزاب تحاول أن تصادر ثورتنا لإعادة مصادرة حريتنا وحقوقنا. ونحن في هذه المعركة أمام خيار واحد لا ثاني له وهو المواجهة المفتوحة. فلا بديل لنا عن المواجهة، لأن عدونا لم يترك خياراً إلا الذل، وقد قالها السوريون صوتاً واحداً: الموت ولا المذلة. من هنا قناعتي الراسخة بأننا سنكمل الدرب وسننتصر. فلم يسجل التاريخ يوماً أن ثورة شعب أخمدت من طاغية أو احتلال، ولا صودرت أخرى من جماعة إرهابية مهما علا شأنها وبلغ كيدها. إننا اليوم في مخاض عسير، وهو المدخل الطبيعي لولادة سوريا الحرة، سوريا المستقبل والألم الذي يولد من رحم الآمال. ولنتذكر ما قيل قبل الثورة من نظام الطاغية ومن الكثيرين في العالم، يوم قالوا كل الشعوب تثور إلا الشعب السوري. وفي صبيحة ذلك الآذار فاجأنا العالم، وما زلنا نصنع معجزة الصمود يومياً لنكرس نصرنا المحتوم بالدم القاني، دم الرقة والحسكة والدير إلى درعا وإدلب وحلب وحمص وحماة والساحل والجبل والجولان.. دم دمشق الذي تعرفه إيران وتعلم أنه نور وحق. إن شعبا يصنع أطفاله واقعة درعا، ويقدم كل يوم مئة خنساء، لن يُخضع رجاله كل طغاة الأرض، بما فيهم كسرى العصر، وصبيه الماكث في أقبية ضاحية بيروت الجنوبية، أو صبيه الثاني المزروع في قصر المهاجرين. ومن يعش ير.

وأختم قولي بقول الشاعر:

أعلِّلُ النفس بالآمالِ أرقُبُها
ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأمَلِ

رئيس الإئتلاف السوري السابق

زكريا السقال

اليوم وعلى أبواب العام الخامس، والساعات تمر بطيئة متثاقلة على السوريين الذين أصبحت أحلامهم وآمالهم، تتقلص لتصبح حلم العودة لبيوتهم ومنازلهم، والعيش آمنين بعد أن اشتعلت روحهم، وهي توزع نفسها على حلم أن يستعيدوا حريتهم وكرامتهم وبناء دولتهم الحديثة، حيث العدالة والقانون والدستور. لم يكن بذهن السوريين أن الكثير سيخذلهم بطريقهم للمستقبل، حيث الحرية والكرامة، الأكثر خيبة أنهم لم يجدوا حاضنة لهذه الأحلام والآمال، وأصبح العالم الذي يتغنى بحقوق الإنسان ومبادئ القيم الإنسانية يدير لهم الظهر.

اليوم على السوريين الخروج من وهم وتوهيمات العقل السائد ليتلمس الخطر الذي يحيط بهم ويحاصرهم، ويستعيد صورة انطلاقته وثورته ويعي ما الذي حصل ومن الذي سرق حلمهم وثورتهم وشوهها، كي يدرك ويعي جبهة الصراع التي تلفه ويتلمس موقع أقدامه ليدير صراعه بشكل علمي وواقعي والخروج من مجمل الشعارات والخطاب الذي أخرجه من دائرة المواطن الفاعل الذي يتلمس طريق تحرره ومستقبله، إلى دائرة ضيقة تحصره بدوائر ضيقة وهويات مجتزئة اسمها الطائفية والقبلية وتلغي كل ما أنجز بهذا الواقع من هويات جامعة. هذه الهويات التي تشكل المدخل الأساس لدخول الخارج الذي يعي تماماً مصالحه بإعادة إنتاج بلدان رخوة مفككة وضعيفة تسهل تحكمه بها وسرقة ثرواتها. اليوم مطالب السوريين وبشكل جاد وملح إعادة النظر بكل الحماقات والتداخلات والثقافة التي سادت خلال أربع سنوات كي يعوا المأزق الذي يعيشونه، كي يعملوا بجد للخروج منه. وذلك من خلال:

١ـ إدراك مجمل الأمراض التي سادت والتخلص من الادعاء وعقده وسياسة الارتجال.

٢ـ ضرورة توحدهم على الوطن والخروج من هرطقة التراث والتاريخ كي يدركوا أن الوطن مجموعة مكونات مختلفة يوحدها الوطن والقانون والعدالة والدستور.

٣ـ ضرورة التوحد على حل وخطاب لا يسمح لهذا العالم البغيض الدخول منه، وبنفس الوقت لا يفرط بأربع سنوات من التضحيات الكبيرة من أجل بناء هذا الوطن.

٤ـ بالوقت الذي يناضل فيه السوريون كي يبعدوا الطغاة والمجرمين، إلا أنهم يتبنون حلاً سياسياً ينقلهم للدولة والمواطنة، ويناضلون لإلزام العالم بضمان هذا الانتقال.

٥ ـ إن النضال من أجل بناء دولة المواطنة، يتطلب ثقافة مواطنة وخطاب مواطنة ومحاربة كل الثقافة والخطاب التي تنحرف عن هذا الطريق.

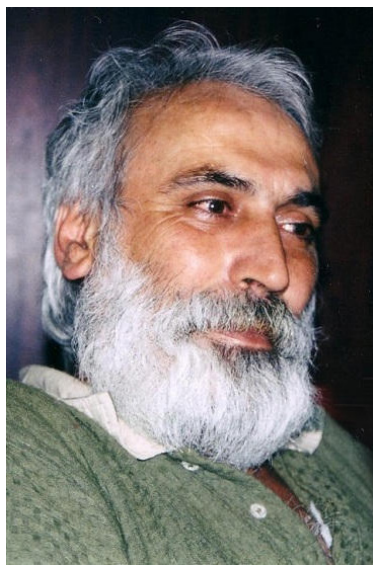

٦ـ إن التسوية السياسية التي مرت بها الكثير من شعوب العالم لا تعني تسوية تبويس الحي وتجبير الخواطر إلا أنها تعني الانتقال للمستقبل وعدم العودة للوراء على كل المستويات، وخاصة بناء الدولة وتداول السلطة وسيادة القانون وتأمين الحريات. لهذا مطالب الشعب السوري وخاصة من قواه المنهكة والتي تتقاذفها الإرادات الإقليمية والدولية أن تخرج من سياسة الارتجال القائمة وتعيد حساباتها من خلال نقد سلوكها وخطابها وممارستها خلال الأعوام الثقيلة المنصرمة، وتنفتح على شعبها وقواه، وتفتح ملفات واقعها بطريقة شفافة يكون فيها الوطن وهموم المواطن حاضرة كي يكون العام الخامس، عام تحرير وعودة إلى البيوت التي شرد أهلها وبناء الدولة الحديثة.

د. عبد القادر العلي

كفر نبل الأيقونة على مدى أربعة أعوام وبداية العام الخامس من ثورة شعبنا، ما زال المشهد يأخذ أبعاده كلها دون اختصار أو تخفيف من كل ما يمكن أن يحدث في ظاهرة اجتماعية فريدة اسمها ثورة شعب، والمشهد دائماً بالأحمر ولا ألوان أخرى. برهنت الأحداث بما لا يدع مجالاً للشك، أن السنين كانت كفيلة بتغيير التوجهات والرؤى والأحداث، السياسات والمواقف، الآمال والتوقعات، حسب تغير مواقع الرايات وألوانها، الشعارات والكتائب التي تمثلها، وتغيرت خرائط القتال عشرات المرات، إن كان بين ممن يُحسبون على الثورة، وبين أعدائها. ولكن دائماً كانت هناك راية تطل من قرية لم تكن بالمعلومة جيداً على خارطة الوطن، ودون إنذار تظهر كل مدة من على شاشات التواصل الاجتماعي يقف خلفها شبانٌ وقد رسموا على وجهها ملامح ثورتنا، صرخاتنا، أحلامنا وآمالنا جميعاً. كفر نبل، شبابها، وشيبها، نساؤها وأطفالها، تجسد ما تبقى من حلمنا الوردي الجميل الذي وُضِعت دونه كل دسائس السياسة والمصالح والحقد الطائفي وغير الطائفي، ولكنها ما زالت بلافتاتها، كلما ظهرت كمنارة بحرية في ليل عاصف، تومض من بعيد، إن الطريق من هناك، وتشير إلى الوجهة التي أضاعها كثيرون، وهي بوصلته للمستقبل. ما هو ملفت للنظر، إن هذه القرية الكبيرة، تعرضت لمرور الأفكار والشعارات والرايات والوجوه المتنوعة، وعبرتها الصواريخ والبراميل وما زالت تحافظ على وجهها الأول بعد أن أصبح من الصعب الحفاظ على وجه الثورة الأصلي دون أن يخط العابرون عليه شيئاً من أهوائهم. أثبت الوعي الذي يحمله أبناء كفر نبل، أنه الحصانة الوحيدة التي حمتهم من توغل الفكر الديني المتطرف الذي انخدع به كثيرون، ولم يبدلوا راياتهم التي ترفرف من شمال غرب الوطن، ومن مكان مرتفع، ونأمل أن تعيد كفر نبل البريق الذي فُقِد في أماكن أخرى من القطر، ومنها محافظة الرقة، التي أظلها السواد وأتعبها ظلامه. للذي ما زال يرفع الراية التي استشهد تحت ألوانها شبابنا وشاباتنا، وجاع وشُرِدَ أهلنا وأطفالنا، بعد هذه السنين العجاف، تحية من القلب. رحم الله شهداءنا، وشافى جرحانا، وأعاد لحمة الأهل والوطن بأقرب وقت.

التشكيلي بكري عمر اسكيف:

مضت بأقدم شعب على وجه الأرض سنوات أربع عجاف، انتهى المطافُ بهم في مخيمات لا تصلح للبشر، ركبوا قوارب الموت ليصبحوا طعاماً للسمك, الحدود أغلقت أمامهم, انقطعت بهم كل السبل. تحية إجلال وإكبار لهذا الشعب.. شعبنا السوري البطل، والرحمة لشهداء ثورتنا، والشفاء العاجل لجرحانا والحرية لأسرانا المعتقلين في سجون الاستبداد وسجون داعش..

بداية.. الفن في الحراك الثوري له أهمية كبيرة في لعب هذا الدور، وتأتي من قدرة الفن على ترجمة التعقيدات الموجودة في الصراع بين معسكر الثورة ومعسكر السلطة الاستبدادية القمعية «الظلامية» ببساطة وسلاسة تجعلنا نفهم القضية برمتها عن طريق بيت من الشعر أو لوحة تشكيلية أو أحد الرسومات الكاريكاتورية، والتي تحارب في الأيام الأخيرة بشدة (وهو ما يجعلنا نستشعر خطورة الفن على النظم الاستبدادية الرجعية). ولعلنا ندرك أن الفن هو العامل الأهم والمقياس الأدق في قياس تقدم الشعوب وقدرتها على الارتقاء، ومن دروس التاريخ نتعلم أن الفن كان المحرك الأساسي لمواجهة النظم الاستبدادية، فتلك النظم لا تمتلك سلاح الإبداع، والذي دائماً ما يمتلكه المعسكر الثوري، والذي بواسطته يستطيع إسقاط أعتى النظم الاستبدادية، فالإبداع الثوري يفوق مخططات واستعدادات الدول الاستبدادية في قمع الثورة، فتكون المواجهة الحتمية النهائية بين الثورة والسلطة.

الآن نحن نشهد لحظات تاريخية في سوريا ستجعل منها بلداً ديمقراطياً. ثورة تاريخية تشعرنا بأهمية عملنا، وتقربنا من الحب، الذي يشكل سر الإبداع الفني الخالص المنبعث من صدق وحب وطاقة انتماء، وهو لسان حال الشعوب الثائرة التي تعبر عنه وتملؤه حماسة واندفاعاً، ويترك بصمة واضحة المعالم والآفاق، فمنذ انطلاقتها كانت لوحة الأطفال الجدارية في درعا كفيلة بأن يهتز لها عرش أركان المعتوه القاصر, كلمات القاشوش البسيطة كسرت حاجز الخوف، رسالتان واضحتان لإسقاط الظلم ولنيل الحرية، مدركاً من خلالها النظام والأنظمة الاستبدادية مدى تأثير الفن الثوري. وما له من أثر بالغ في سير هذه الثورات. من هنا جاءت لوحاتي التي رسمتها من عمق الحدث المؤلم، من عمق الجرح السوري، وجرح الوطن، فقد دمر القاصر المعتوه الشجر والبشر والحجر، وكل مواطن سوري على موعد كل لحظة مع الموت..

الفنان عامر السبيعي:

ها نحن على أبواب السنة الخامسة من عمر هذه الثورة المجيدة المباركة، وكلما مضت الأيام والشهور والسنين كلما زاد إيماننا وإصرارنا على تحقيق النصر وإحقاق الحق ودحر الغزاة والنيل من الخونة، وعلى رأسهم الأسد ونظامه، وأنا باسم الشعب السوري البطل أشد على أيدي أبطال الجيش الحر، وأبارك لهم وقفتهم الشجاعة، وأقول باسمهم لا وقف للقتال ما دام هذا النظام قابعاً على صدورنا، ولن نتخلى عن نضالنا إلا بتحرير الأرض من النظام الأسدي وملالي طهران المجوس وخادمهم المخلص حسن نصر اللات، لن تثنينا السنون بل نحن ماضون إما الشهادة أو النصر.. وألف تحية لأحرار الوطن..

التشكيلي خليل حم سورك:

بدءاً السلام لأرواحكم أيها الشهداء الراحلون، والباقون على قيد النزوح في المخيمات. شخصياً لا أفقه في السياسة، ولكني دخلت السجن في الثمانينات حالماً بإسقاط النظام اللاوطني، والتغيير الديمقراطي في سوريا. عند بدء الثورات العربية حلمت أن تصلنا شرارتها، وقد تم، وازدادت سعادتي أكثر، لكن الذي حدث أن سوريا هي بيضة القبان في التغيير في الشرق الأوسط، وهكذا تم الإجماع على كسر هذه الثورة وإفشالها كتحويل الأمر إلى حرب طائفية أقوامية إقليمية تبقي على الأسد، لكن الأمر الأهم هو أن هذه ثورة شعب، والثورة بطبيعتها تحتمل كل شيء من الفوضى والتدخلات الخارجية، والمصالح الصغيرة منها والكبيرة، فلو عدنا بذاكرتنا للخلف لوجدنا أن الثورة الفرنسية أنزلت المقاصل إلى الشارع، وسالت دماء كثيرة، ودمار كبير، والثورة الروسية لم تكن أكثر نظافة، والحرب العالمية الأولى والثانية، وثورة الملك فيصل اليتيمة وأتاتورك، الثورة النظيفة الوحيدة في التاريخ هي ثورة غاندي ومانديلا، والدموية النظيفة ثورة البارزاني الأب.

إذاً توجد ثورة ستغير حكماً وجه التاريخ، ولكنها لن تكون ثورة نظيفة، والجيل الشاب الذي أوقدها يجب أن يكونوا قادتها ويجب على «الاختيارية» أن يتقاعدوا، والثورة تحتاج لمفكريها ومنظريها كما كانت الثورة الفرنسية. أنا مؤمن بالثورة السورية حلمنا ومستقبل الأجيال القادمة.

إبراهيم الحسن: الثورة المآلات والحلول

ليس من الهيّن أن تكتب عن الثورة ومآلاتها.. ولكنه يُعتبر ضرباً من الشجاعة أن تفعل، سيما وأنك ستُتهم بالتنظير والدم يُبذل في الساحات، وليس خافياً على أحد أن الثورة قامت لأن الكيل قد طفح وأن سياسة الاستبداد والتهميش والعسف والجور والجهل والتجهيل والفساد والإفساد وكبت الحريات المُمارسة من قبل النظام وعلى مدى ما يُقارب النصف قرن هي سبب هذه الثورة.. إنها ثورة شعب طمح بالخروج من شرنقة الذل والخنوع لينطلق في عالم الحرية والكرامة والإبداع. انطلقت الحناجر في الساحات بشعارات ما هي إلاّ رسالات سلام للعالم، شعارات تنادي بالدولة المدنية الديمقراطية والحرية والعيش المشترك والآمن، شعارات تدعو إلى وحدة البلاد والعباد والمساواة، نافيةً كل صنوف التفرق والتعصب سواءً القومي أو الطائفي أو الديني، شعارات تؤكد على المحافظة على الفسيفساء السوري الجميل.. ثورة فتحت أبواب الأمل على مصراعيه بالتغيير والحياة الحرة الكريمة، ولكن لماذا آلت الأمور إلى هذا الواقع المرير؟ واقع التشظي والتشرذم والتناحر والتقاتل وعدم القبول بالآخر والتمترس والتخندق خلف مشاريع خاصة لا علاقة للسوري بها، ولا تخدم آماله ومصالحه.. نقولها وبكل أسف أن النظام بفضل سياساته الشيطانية وحربه الإعلامية والعسكرية استطاع أن يجر الثورة إلى هذا الفخ، ليظهر أنه يُواجه مؤامرة تريد النيل منه بسبب محاربته الإرهاب، وأنه يمارس الممانعة والمقاومة ضد إسرائيل.. هو ذاته الخطاب الخشبي الذي مارسه طوال سنوات حكمه.

إن تعدد مصادر الدعم والتمويل أدت إلى الارتهان الفكري والسياسي لمصدر التمويل ومشاريعه وأجندته مما قسّم الساحة السورية إلى حقول سياسية يحرث فيها المموّلون ليقطفوا الثمار، ودخلت مشاريع الغير، وتناحرت وتقاتلت، وكان الحطب هو السوريون، وأُجج الصراع القومي، وحركت نار التعصب والتفاخر القومي والديني، وغُرست بذور انعدام الثقة بين المكونات مما أغرى البعض أن يُطلق مشروعه التقسيمي المبني على الفكر القومي ضارباً قروناً من الحياة المشتركة عرض الحائط، أما فيما يخص التركمان فمن المؤسف أن أتحدث بهذه اللغة والطريقة، ولكن واقع الحال يفرض ذلك فهم على خلاف الآخرين ليس لديهم أي تعصب قومي أو مشروعهم الخاص، بل يعتبرون أنفسهم جزءاً من الشعب السوري الواحد، ويرفضون أي مشروع تقسيمي من أية جهة كانت تركمانية أم غير تركمانية، وهم يشعرون أنهم قادرون على بناء جسور الثقة وتقوية الوشائج بين المكونات الأخرى لما يملكونه من الاحترام المتبادل مع الجميع، وهم مكون أساسي وفاعل من مكونات هذا الشعب وهذه الثورة العظيمة، ولقد قدموا المئات من الشهداء على محراب حرية الشعب السوري، وليس ذلك منّة منهم، وإنما هذا واجب عليهم كمواطنين لدولة سورية دولة القانون والعدالة والمساواة الدولة المتحدة أرضاً وشعباً، أما عن الحل والخلاص فما أطرحه ليس ضرباً من خيال، وإنما مستقى من واقع وتجربة تاريخية، لا خلاص للسوريين إلاّ بالكتلة التاريخية التي نادى بها غرامشي في إيطاليا في ظروف مشابهة لظروفنا فليس لأي طرف لوحده أن يبني مجتمعاً ودولة، ليس لقومية لوحدها أن تقوم بذلك، وليس لحزب لوحده سواء أكان علمانياً أو إسلامياً، وليس لنقابة لوحدها أو هيئة مجتمع مدني أن تقوم بذلك، بل يجب أن يجتمع الجميع دون إقصاء لأحد ضمن الكتلة التاريخية على هدف آني وترحيل الأهداف الأيديولوجية لفترة تقصر أو تطول..

الحرملي

أنسنة الصحافة

خالد خليل

الحيادية والموضوعية من أكثر الأمور تبنياً من قبل المؤسسات الصحفية، والوسائل الإعلامية عند كتابة العهد أو «ميثاق الشرف»، لكنها تأخذ طابعاً شعاراتياً لأنك من الصعب أن تجد وسيلة إعلامية حيادية وموضوعية بالفعل، لا تخضع للثالوث المقدس في عالم صناعة الإعلام المتمثل في (المحتوى والجمهور والمال)، هذا الثالوث الذي يتحكم بالعملية الإعلامية، والسياسة التحريرية لأي وسيلة إعلامية.

على سبيل المثال.. طالما تشدق كثيرٌ من الصحفيين والجمهور المتلقي بأن هيئة الإذاعة البريطانية BBC هي من أكثر الوسائل الإعلامية حياديةً وموضوعية كونها تخلصت من عقدة (المال) المشار إليها بالثالوث السابق باستعاضة تمويلها من عائدات ضرائب جمهورها من الشعب البريطاني. ولكن من يتابع أداء هذه المحطة وكيفية تعاطيها للوضع السوري يرى بوضوح محاولتها تلميع صورة نظام الأسد لا سيما في المقابلة الأخيرة التي أجراها محررها لشؤون الشرق الأوسط «جيريمي بوين» مع بشار الأسد، ومنحه فرصة لإنكار جرائمه بحق الشعب السوري، وتمريرها عبر تسخيفه سؤال المحرر عن البراميل المتفجرة بالرد هازئاً، «أية براميل وأية أواني ضغط منزلية!»، واكتفاء المحرر بهذه الطريقة للإجابة، وعدم محاججته بتقارير المنظمات الإنسانية، والحقوقية الدولية، والتقارير الإعلامية، التي تثبت بالصوت والصورة استخدام البراميل التي تنهمر يومياً فوق رؤوس المدنيين. كما يلاحظ المتابع في الآونة الأخيرة تسابق وسائل إعلام غربية لإجراء مقابلات مماثلة مع رأس النظام في محاولة لإظهار وتسويق ما يحدث في سوريا، إنما هو بين رئيس بربطة عنق، وشعب منكوش الشعر واللحية. وسُقْ على ذلك من الأمثلة الكثيرة على ضبابية معياري الموضوعية والحيادية.

في المقابل، ولكسر التشدق بشعارات الموضوعية والحيادية، طرحت مؤسسات إعلامية عريقة معادلة أخرى لأنسنة مهنة الصحافة كون الصحفي إنسان لا تنوب عنه الآلة بأي شكل من الأشكال، وكون رسالتها موجهة للإنسان، فهل رأيتم مثلاً صحافة تخاطب الطيور والأشجار؟!

من الأمثلة على ذلك طرح «شبكة الجزيرة» معادلة (الخبر والوعي والوجدان) كون الصحافة إحدى العلوم والمهارات الإنسانية -إن جاز التعبير- لا تنفصل عن محيطها المجتمعي، فهي الناقل للوعي، ومنبر لنشر الثقافة وتعميمها.

المفاجأة الأكبر تحتدم نقاشات في أوساط الصحفيين السوريين حول إحدى المؤسسات التي ولدت من رحم الثورة السورية تدعى «رابطة الصحفيين السوريين» والتي تصرّ على حذف بند «إسقاط النظام» من ميثاق الشرف الخاص بها على الرغم من اعتراض عدد من الصحفيين الأعضاء فيها وغير الأعضاء. وبما أن «الرابطة» هيئة أفرزتها الثورة، واستمدت كينونتها منها، من المفترض أن تتبنى أهداف الثورة وأهمها «إسقاط النظام»، سواء في ميثاق الشرف، أو في مدونة سلوك، أو في الدليل الأخلاقي، يتعهد طالب الانتساب الالتزام به، ف«الرابطة» ليست تنظيماً عالمياً بل خاصاً بمجتمع معين ذو تطلعات وطموحات!

كما رفض القائمون على الرابطة رفع علم الثورة في مؤتمرها العام نهاية العام الماضي المنعقد في مدينة غازي عينتاب التركية، الأمر الذي يثير تساؤلات، ويضع استفهامات إلى أين تسير «الرابطة».

وتسوق «الرابطة» مبررات الحذف حفاظاً على الحيادية والموضوعية، وللابتعاد عن التجاذبات السياسية كونها -الرابطة- هيئة شبه نقابية، وليست حزباً سياسياً، واستجداءً لاعتراف الاتحاد الدولي للصحافيين، وربما رضوخاً للممول، والتبعية للمال السياسي الذي يفرض شروطه على مؤسسة كان عليها أن ترقى بالعمل الصحافي، والنقابي في سوريا، لا سيما في هذه المرحلة المفصلية.

هنا سؤال: هل تبني «إسقاط النظام» في ميثاق الشرف يتعارض مع العمل النقابي الصحفي المهني أم أنه لم يعجب «الرابطة»؟ وهل ينكر أحد وجود الانحيازات الوجدانية في الصحافة العالمية برمتها تطبيقاً وممارسة؟ والصحافة ليست مجرد نقلاً للخبر بل تجميعه و(تحليله)!

ربما الإجابة بضرب الأمثلة أجدى من التنظير، على سبيل المثال الصحافة الإسرائيلية -المعترف بها من جميع الهيئات الصحافية الدولية- وبالتحديد صحيفة «يسرائيل هايوم» من أهم بنودها في ميثاق الشرف يقول بالحرف (علينا أن لا ننسَ أننا إسرائيليون) وتورده في نسخها اليومية المطبوعة والالكترونية، ولم تقل علينا أن لا ننسَ أننا صحافيون. لذا ربما من الأجدر التذكير بأننا ثوار كي لا ننسَ إسقاط النظام.

العام الخامس للثورة آفاق وتحديات

جبر الشوفي

أربع سنوات مرت على الثورة السورية، والإعلام العربي والعالمي لم يزل يتداول وجوهنا، ويصدّر أصواتنا في كل اتجاه، ولكن ضمن تدوير أزمتنا مع أنفسنا، ومع من حولنا من دول شقيقة وصديقة، ومع العالم الخارجي بقطبيه الرئيسيين المتلاعبين بنا بدهاء وخبث أو بفجاجة وغباء، من دون جدوى. فلا الطموح إلى التغيير السياسي نحو الحرية والعدالة والديمقراطية، بعد أكثر من نصف قرن على حكم عائلة الأسد، بفسادها واستبدادها وعنصريتها، حفز حماة الديمقراطية الدوليين، ولا صحوة الضمير والحسّ الأخلاقي العالي بالمسؤولية، تجاه شعب يباد ويهجر ويموّت بكل أنواع القتل والتدمير، ولا حتى تجاوز آلة النظام الحربية لخطوط الحظر الحمراء، كيماوية وغير كيماوية، دفعت بهؤلاء للمساهمة في تخليص شعبنا من محنته، بل أداروا ظهورهم ونكثوا بعهودهم وتواقيعهم على الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحماية الشعب، من حكامه المجرمين.

حقيقة الأمر أن أزمة أخلاقية عميقة، يعاني منها هؤلاء الوكلاء الحصريون الدوليون، للحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فمنذ أن أفرغوا يد رجال السياسة عندنا، ابتداء من المجلس الوطني السوري، وصولاً إلى ائتلاف (لا يأتلف) وكل القوى السياسية الشبيهة الأخرى، من إمكانية تغيير النظام عن طريق الحلول السياسية، وأحبطوا تطلعاتهم، وآمالهم المعقودة على المساعدة في تحقيق ذلك، باتت السياسة حاملاً بلا محمول مدني أو دبلوماسي، وبات السياسيون بلا سند، معنوي ومادي أي بلا نصير دولي حقيقي - وهم لم يمتلكوا أصلاً رؤية منهجية قوية، ولا بنية هيكلية متماسكة- يستندون إليه في مواجهة النظام من جهة، وفي مخاطبتهم للعالم الخارجي من جهة ثانية، فراحوا يداورون الفراغ، في لعبة أثمن ما فيها الزمن، ويراهنون على سلاح ينكسرون بانكساره، وليس بالضرورة أن ينتصروا بانتصاره، فاضطرب خطابهم، واختلط في رهانهم وفي تقديرهم، حين لم يميزوا بين مجموعات شتى، من قوى المعارضة المسلحة، المتباينة الاتجاهات والأجندات والولاءات، ولا يجمع بينها، سوى مسمى واحد هو الجيش الحر.

في ظل فراغ يد الهيئات السياسية القيادية المفترضة، من فعاليات قوى الثورة الشبابية، ومن مجتمع مدني نهض متغلباً على هشيمه، في هبات درعا وحمص وحماة والدير والقامشلي وغيرها، وفي ظل فشلها في قيادة الثورة باتجاه التغيير الديمقراطي، وتحت ضغط صيحات الغضب والثأر، من قوى النظام الأمنية والعسكرية المجرمة، باتت المعركة بندقية مطلقة بلا ضابط من عقل سياسي، وعمل السياسيون على تشكيل غطاء له، من دون تمييز أو تمحيص، فكان ذلك من أخطر وأسوأ الخيارات، بوصف السلاح «يخلق من الأشرار أكثر مما يزيل» حسب تعبير (عمانويل كانت) وبواسطته، راحت القوى المتطرفة تختطف الثورة، وتخلصها من بعدها الديمقراطي المدني، باتجاه العنف المطلق، وتورطت السياسة في مباركته، باعتباره الوسيلة الوحيدة المتبقية، لمواجهة عنف النظام وجرائمه، والأسلوب الوحيد القادر على إسقاطه.

في هذا السياق وفي ظل مناكفات وتجاذبات روسية أمريكية ودولية، وداخلية سورية، أُجلس الائتلاف الوطني مع وفد النظام على كرسي التفاوض في جنيف، في ٢٢ - ١- ٢٠١٤ ، وفي يده، القرار ٢١١٨ ، المتعلق بالأسلحة الكيمياوية، ووثيقة تدين النظام بقتل أحد عشر ألف معتقل تحت التعذيب، وفي حوزته تأييد شعبي سوري واسع، وقوى عسكرية معتدلة، لا يتناسب مع الهشاشة البنيوية وسوء السمعة اللتين لازمتا مساره، رغم مقاطعة وغياب قوى عديدة عنه، مما يشير إلى إرادة حقيقية ورغبة عميقة، عند السوريين في الخلاص، بغض النظر عمن يتفاوض بالنيابة عنها، ولكن سرعان ما خاب الأمل، لأن التفاوض لم يعد إلا بنتيجة واحدة، هي تثبيت رفض النظام للهيئة الانتقالية، ومطالبته بوقاحة لمساعدته على إعادة بسط سيطرته، واستسلام المسلحين لسلطته، والعمل معاً على أولوية محاربة الإرهاب، تلك المقولة المروّجة روسياً، والمموه على القبول بها غربياً، فعاد النظام أكثر ثقة بنفسه، بعد أن تأكّد من خلبية التهديدات الأمريكية، التي استنفذت زخمها، في التزام الأسد الكامل بالاتفاق الكيماوي، والقرار ٢١١٨ الذي حرص النظام على تنفيذه كاملاً، ليفرغ الغضب الأمريكي عليه، مع حاويات غاز السيرين في عرض البحر، ولتنفرج أساريره ويتفرغ لانتخاباته ومحاولات إعادة تأهيله، غير عابئ بالهيصة الإعلامية الأمريكية، بعد أن ثبت له مرة بعد مرة، أنها ليست أكثر، من أصداء جوقة تدير ظهرها لنظامه بالإهمال واللامبالاة، لكنها تعطيه فرصة، لكي يخرج بوهم انتصار ولو شكلي وعابر، ليعمل على تسويقه لأنصاره وأجهزته، ويساعده في ذلك التسويق، أم العروس الصفوية والماشطة الروسية!.

والآن وبعد أن سلّم النظام في دمشق أوراقه كلها، وأصبح محمية إيرانية، تتبع عسكرياً وأمنياً وسياسياً لولاية الفقيه، وتخضع لحماية رؤوسها الأخطبوطية الذاهبة في كل اتجاه، نهشاً في الجسد العربي المتهالك والمتراخي، والمنتظر لمصيره البائس، بقليل من الوسائل الضرورية للحماية والحصانة، ولاسيما بعد أن بات بين كماشة الإرهابين، الشيعي والسني، والإطباق والدعم الدبلوماسي والعسكري الروسي، ماذا يفعل السوريون، بالمبادرات المستندة على أولوية مكافحة الإرهاب، وإعادة تأهيل النظام ليخوض معركة أتقن تسويقها منذ بداية الثورة، وماذا يفعل العرب لحماية وجودهم وكياناتهم؟

القوة العربية المشتركة، باتت كما كانت دائماً، ضرورة ملحة، ولكن من يبني هذه القوة، وممن، وما هي مهمتها، ومن يقودها؟ وما مصيرها فيما إذا أنهت مهمتها بنجاح، هل ستبقى قوة دائمة لحفظ الأمن العربي، وأيّ أمن عربي هذا؟!

أمن نظام البراميل السوري، من شعبه الثائر، أم أمن النظام المصري في معركته الداخلية، وعلى حدوده مع ليبيا، أم أمن اليمن من الزحف الحوثي الإيراني، أم أمن السلطة الطائفية التابعة في العراق، لتكمل المخطط الصفوي الديمغرافي، عبر هذا الحشد الشعبي الشيعي الطابع، والمدعوم مباشرة من قاسم سليماني؟! أسئلة بعهدة السوريين والقوميين العرب، وبعهدة سلطاتهم، وكل يشد اللحاف صوبه، على حين، قد نخرج نحن السوريين، بلا لحاف!!

في الذكرى الرابعة للثورة:

آن للثوار أن يعودوا إلى المقدمة!

موفق نيربية

سوف تكون الثورة السورية حدثاً فاصلاً في تاريخ المنطقة كما كانت الثورة الفرنسية كذلك في تاريخ أوروبا، بغض النظر عما حدث في كلتيهما من تدهور نحو الفوضى وسفك مريع للدماء. وكما ظهر بونابرت في سياق التدهور بعد عشر سنوات من اندلاع ثورتهم هنالك، كمنقذ، يحاول حالمون بدور شبيه- وبمضامين إحيائية أيضاً للماضي- في بلادنا، أن يجهزوا لأنفسهم مكانة أو إمارة في المستقبل. هنالك ظهرت كلمة" الإرهاب" الفرنسية مع المقصلة.. وهنا يجتمع إرهاب العالم مع السيف الخارج من تحت الرماد... ويتكلم بعضنا عن «الزمن الجميل» الذي مضى، ويتحسر عليه! الزمن الذي كانت سوريا فيه من غير دماء سالت من مليون شهيد وجريح، ومن غير دمار طال مدننا وقرانا، وجعل من مساكن الكثيرين أثراً بعد عين، ومن غير تشرّد شمل نصف سكان البلاد... يأسف على لحظات كانت تمر في أمن وفرح! كنا أحياء في بيوتنا، نأكل ونشرب، ونرى أحبتنا وأصدقاءنا أحياناً، وربما نبتسم... لكننا كنا نفتقد الكرامة، ونتعايش مع النفاق، وبالطبع من دون الحرية! لا أرى إلا قلة قليلة ترضى بالعودة إلى وراء... فنحزن لحالنا، لكننا لن نتراجع! أربع سنوات مررن كالحلم والكابوس معاً... كانت ثورة، غيرّت الجميع، وأرست معياراً أخلاقياً جديداً. ولكن ما حدث بعد ذلك من عنف غير مسبوق، وخذلان من العالم، نقلنا إلى حالة قحط وخيبة، أفرغت الساحة من أبطالها الأوائل، بالموت والضغط والتهجير وبحصار العدمية. منذ البداية كان هنالك خطان، على أحدهما سار المعارضون القدامى الذين أنهكهم النظام لأربعين عاماً، ونقل إليهم أمراضه وعلله. وعلى الثاني كان شباب الثورة الذين خرجوا مباشرة على شرطهم الذي كان في يد النظام، وتمثلوا العالم الذي انفتح على نفسه في العقدين السابقين، وصنعوا ثورة لا مثيل لها. كان هنالك خطان، متوازيان، لم يلتقيا! فلا استطاع المعارضون التقليديون تقليد الشباب الثائر والاستسلام لشروط انطلاقته وتجديد سياستهم العملية، ولا استطاع الشباب الارتقاء إلى حقل السياسة الفاعلة، بعد أن فاجأهم حصار النار. بقي الخطان عندئذٍ متنافرين، يقلد أحدهما الآخر أحياناً، من دون أصالة... وارتاح الخصم لذلك! نحن الآن في إسار المتناقضات، وهمومنا اليومية.. وأيامنا صارت تقارع الدهور طولاً.. الثورة تحت حصار خانق في العامين الأخيرين خصوصاً، من الداخل أولاً، ثم من الخارج: يحاصرها النظام بعنفه المجنون، الذي فاق عنف الطغاة الذين سبقوه, فأحرق البلد من أجل الأسد، وما زال مستمراً. ويقف معه صفاً واحداً ميليشيات طائفية توجهها سلطة" الولي الفقيه" من طهران، هي الآن في طور التحول من شريك إلى قائد للميدان، يسفر الوجه عن احتلال زاحف... ويحاصرها من داخلها اندفاعها اليائس واعتصامها بالتشدد وسيلةً لمواجهة التطرف، الذي استجلب لنا قوى غريبة رأت في بلادنا ساحة مرشحة لتلعب فيها ألعابها الانتحارية... وتحاصرها معارضة غارقة في خلافاتها وامتناعها على الإصلاح والوحدة.. وجيش حر لم ترتفع عقيدته القتالية (الوطنية) إلى مستوى القدرة على مقاومة العقائد الوافدة. يحاصرها أخيراً شبابها، الذي يصمت ويعتزل أو يكتفي بالنقد السهل والعويل.. ولا يفعل ما يوازي قدراته وإمكانياته الهائلة! تحاصرها روسيا وإيران، وقد فهمتا أن الميدان خالٍ لحديدان. ويحاصرها كل من يخشى سوريا حديثة تبرق تحت الشمس وتنير المنطقة، ويحاصرها «أصدقاؤها» الذين لا يتحملون مسؤوليتهم كما ينبغي، ويريدون شراء راحتهم واستقرارهم وحلول مشاكلهم الداخلية من دون أداء ما استحق عليهم دفعه وأداؤه. يحاصرها الآن بعض الأقربين، يريدون استثمار حالة الحصار الشامل هذا، وتوقنا إلى وقف الموت والدمار عبر تسوية سياسية تضمن التغيير الجذري في أوضاعنا... ويضغطون بكل قواهم من أجل «تعويم» الثورة والأسد معاً. وليست هذه التسوية الآن إلا مجرد سراب، ما دام النظام يشعر بأنه ما زال حصيناً، غير مضطر لأي تنازل حقيقي. ويحاصرها المفهوم الذي يسري في كل مكان، يدعو إلى «داعش أولاً»، متناسياً جذر الإرهاب وأسه ومُولِّد حاضنته، وداعياً بخفر- وأحياناً من دون خفر- إلى اعتبار النظام «أهون الشرين». يحاصرها أخيراً من يخلط بين «المعارضة المعتدلة»، والعداء للإسلام.. وقد تكون تلك الطامة الكبرى! لكننا، رغم البرد والجوع والتشرد ونقص الذخيرة صمدنا في ظروف الحصار هذه خلال الأشهر الأخيرة، بل حققنا شيئاً من الانتصار هنا أو هناك. وأثبتنا بذلك حقيقة ثابتة، تقول «ما حكّ جلدك غير ظفرك»! ولعلنا استطعنا صياغة بعض معالم إستراتيجية سياسية، تعتصم بالشرعية الدولية، التي يتملص من إسارها كثيرون، لنؤكد أننا مع تسوية سياسية على أساس تلك الشرعية، وأن الرافض أبداً هو النظام، الذي يقوده من استحقوا المحاكمة الدولية على جرائم الحرب التي اقترفوها.. ونحن ماضون في طريق توسيع أطرنا المعارضة والثورية عن طريق حوار سوري- سوري، ما استطعنا إبقاءه كذلك. لكن ذلك كله مؤقت، وقد يصبح عابراً. ما دامت قوى الثورة الأكثر تعبيراً عن الشعب ومستقبله، ما زالت غائبة! هذه دعوة من معارض قديم، يرزح تحت ثقل تاريخه وتاريخ بلاده كله، ويعلو صوت لهاثه أعلى فأعلى: يا شباب الثورة، لا تضيعوا ما قمتم به، وانكبوا على بناء أطر جديدة لثورتكم، ثورتنا. لا تلتفتوا إلى وراء، لا تلتفتوا إلينا إلا حين يتعلق الأمر بكم وبمتطلبات عملكم... نحن لا نستحق إلا أن نستريح، وراءكم!

هل يمكن استرداد الثورة في عامها الخامس؟

جورج كتن

بعد أربع سنوات من انطلاق الثورة الشعبية السورية غير المسبوقة في تاريخ المنطقة الحديث، لا بد من مراجعة شاملة لأهم التطورات والمراحل التي مرت بها في ظل هاجس رئيسي يحاول الإجابة على السؤال الملح:

لماذا فشلت الثورة في إسقاط النظام الاستبدادي رغم عظم التضحيات التي قدمها الشعب السوري؟

انتقال الثورة من المرحلة السلمية إلى حمل السلاح كان تحولاً لا يمكن تفاديه في مواجهة وحشية النظام باستخدام أسلحته ضد المتظاهرين السلميين، لكن عسكرة الثورة جرت بشكل عشوائي غير مترابط لا تجمعه أية قيادة عسكرية أو خطة إستراتيجية موحدة، وفشلت كل محاولات تشكيل مثل هذه القيادة، كما فشلت المنظمات السياسية المعارضة في الداخل والخارج باكتساب ثقة الكتائب المسلحة لانضوائها تحت قيادتها، فقد تصارع المعارضون على المراكز الأولى بدل التوحد خلف هدف واحد وتأجيل اختلافاتهم الثانوية لما بعد إسقاط النظام.

أما النخب الثورية الشعبية التي انتظمت في تنسيقيات ومجالس محلية، ولجان عمل في جميع المجالات لتبشر بإمكانية إقامة سلطة موازية للنظام تكون بديلاً له عند سقوطه، فقد أزيحت ومنعت من لعب دورها في ضبط استمرار توالد الكتائب المسلحة التي ترتبط ببعضها بروابط واهية، لينتقل مركز ثقل الثورة من الحراك الشعبي الذي تم تهميشه بالتدريج، فيصبح القرار بيد حاملي السلاح، لتنبع السياسة من فوهة البندقية بتوجيه من أمراء حرب لا يكترثون بالحاضنة الشعبية التي أصبحت في مفهومهم تابعة، وفي خدمة الكتائب المسلحة بدل أن يكون المسلحون في خدمة الثورة الشعبية ولتحقيق أهدافها.

ولم تتورع الكتائب المسلحة المهيمنة من استخدام الحاضنة الشعبية كدريئة لحماية المسلحين من الهجمات العسكرية لجيش النظام. فلو كانت المصلحة الشعبية هي هدف المسلحين لكانوا وجدوا طريقة لتجنيب الشعب القتل والتدمير لمدن وبلدات بسبب احتماء المسلحين بين منازلها، مما تسبب في هجرات مليونية للأهالي. لم يفكر أحد بالانتقال لوسائل قتالية أخرى كحرب عصابات ضد جيش النظام المتفوق في أسلحته وفي قيادته وخطته الموحدة.

وبسبب فوضى السلاح تسللت منظمات تكفيرية أصولية من دول الجوار، وخاصة العراق، ثم من كافة دول العالم بحجة أنها جاءت «لنصرة» الشعب السوري، ليتضح في مرحلة لاحقة أن قتالها للنظام ليس لتحقيق أهداف ثورة الشعب السوري، بل من أجل أهدافها الخاصة في إقامة دولة دينية تكفّر الديمقراطية والحرية التي ثار الشعب من أجلها، تستبدل استبداد النظام واضطهاده لشعبه باسم المقاومة وشعارات أخرى زائفة، باضطهاده وقمعه باسم الدين حسب تفسيرهم له.

كما بدأوا بتطبيق منهجهم في المناطق التي يهيمنون عليها بفرض مقاييس متشددة في أساليب الحياة، وعقوبات وحشية لكل من يخالف تعليماتهم المستقاة من مفاهيم القرون الوسطى الظلامية. وأججوا الصراع الطائفي بادعائهم مقاتلة «الحكم النصيري» وحولوا الثورة من أجل الحرية إلى حرب أهلية طائفية. وأعطوا حجة لما ادعاه النظام منذ البداية أنه لا يواجه ثورة شعبية بل منظمات إرهابية، وبرروا توظيفه الطائفي لحربه ضد شعبه باستقدامه ميليشيات شيعية من لبنان وإيران والعراق وبلدان أخرى.

بالإضافة لكل ذلك واجهت الثورة إهمالاً من المجتمع الدولي وشبه لامبالاة بالكارثة التي ألمت بالشعب السوري فيما عدا مساعدات إنسانية غير كافية، وتردد في دعم ثورته مما مكن النظام والمنظمات الإرهابية من الاستفراد به بحيث أصبح بين مطرقة النظام وسندان المنظمات المسلحة الإرهابية.

لم يعد الصراع كما كان في بداية الثورة بين شعب منتفض ونظام استبدادي، بل حروب وصراعات متعددة بين داعش والنصرة والنظام والكتائب الإسلامية والميليشيات الكردية وبقايا الجيش الحر وقوى إقليمية إيرانية ولبنانية وتحالف دولي- عربي، تتصارع كلها على الأرض السورية، فيما الشعب صاحب الثورة يضطهد في مناطق النظام، وفي مناطق هيمنة الكتائب المسلحة، ويتحمل معاناة غير مسبوقة من قتل وتهجير واعتقال وتعذيب وتجويع وتدمير لوسائل عيشه.

بعد كل ما حصل فإن وضع حد للكارثة أصبحت أولوية لا بد من العمل من أجلها بوقف القتال، ومحاولة التوصل لحلول وسط تنقذ سوريا والشعب السوري من المصير المظلم الذي يقوده له الصراع المتشعب الراهن المحكوم بتوازن لا يبشر بحسم سريع لأي طرف من الأطراف المتصارعة لتستمر المقتلة حتى القضاء الكامل على البلد والشعب.

أما إحياء الثورة واستردادها فأمر صعب ولكنه ليس مستحيلاً إن توفرت ظروف موضوعية مناسبة. إذ لا بد لجميع من وقف وما يزال إلى جانب ثورة الشعب لتحقيق أهدافه في الحرية من إجراء مراجعة شاملة لما حدث حتى الآن تعتمد على مسائل عديدة منها:

أولاً: التوقف عن العيش في أجواء السنة الأولى للثورة، والاعتراف بالواقع الجديد الذي آلت إليه الأوضاع الراهنة.

ثانياً: فتح حوار واسع وعلني وصريح لا يخفي الحقائق مهما كانت مرة، يستخلص الدروس من فشل الثورة الأولى، يقيم الأخطاء وينتقدها ويحدد الوسائل لتجاوزها.

ثالثاً: تحديد واقعي للقوى السياسية والعسكرية التي تقف مع أهداف الثورة، ومن هم أعداء هذه الأهداف ممن يقف مع النظام أو في الطرف المقاتل له، ومن هم الحلفاء الحقيقيين للشعب السوري من قوى محلية وإقليمية ودولية.

رابعاً: الفرز الواضح للقوى على اختلافها للعمل من أجل كتلة سياسية عسكرية تاريخية، طرف ديمقراطي سوري، يتبنى أهداف الشعب الديمقراطية ويقاتل من أجلها، ويبني تحالفاته مع القوى الأخرى بناء على مدى اقترابها أو ابتعادها عن هذه الأهداف، ليصبح قوة يحسب حسابها في أي حل سياسي قادم. فرز الطرف الديمقراطي نفسه سياسياً وعسكرياً يمكن من استجلاب دعم خارجي أفضل بعد الوثوق بأن سوريا لن تقع في يد المنظمات الإرهابية بعد ترحيل النظام.

خامساً: السعي لحل سياسي توافقي يحقق بعض أهداف الثورة ويوحد قوى المجتمع على اختلافها ضد المنظمات الإرهابية وعلى رأسها داعش والنصرة.

الثورة على أعتاب عامها الخامس
استعصاء الانتصار وجذوة الأمل

أنور بدر

إذا كانت الثورة كتعريف أو كمصطلح سياسي تعني التغيير الشامل لوضع عياني، بمعنى التغيير الكامل لنظام الحكم القائم، وما يمثله في جميع مؤسسات السلطة السياسية، لتحقيق ما تصبو إليه الإنسانية بفطرتها من حرية وعدالة اجتماعية وحقوق متساوية، فإن السوريين قد اختصروا الشق الأول من المعادلة بشعار «الشعب يريد إسقاط النظام»، والذي لا يزال يشكل الهدف الرئيسي لكل نضالات قوى الثورة ونخبها السياسية، كما اتفقوا بالنسبة للشق الثاني بأنها ثورة حرية وكرامة أيضاً.

ولو قيض لهذه الثورة أن تنتصر في زمنها الذي اختطه الربيع العربي بداية، لما كنا دخلنا في الاستعصاء الراهن، ونحن على أعتاب العام الخامس لتلك الثورة المغدورة، بحيث يتوجب علينا الاعتراف بأن النظام نجح في فرض خيارات التطرف الإسلامي والعسكرة على ثورة بدأت سلمية وشعبية وعفوية بكل ما لهذه الكلمات من معنى، إلا أن خيارات النظام السابقة، وعجزنا عن التحكم بمسار الثورة بالمعنى السياسي والنضالي، وتقاعس المجتمع الدولي عن نصرة السوريين حتى الآن، قاد أصدقاء الشعب السوري إلى خيارات تبدو غير عادلة راهناً، فإما أن تترك سوريا لقوى التطرف الداعشي وأضرابها، أو نستسلم لسلطة الأسد الذي جرّ العالم كله لبؤرة محاربة الإرهاب الذي صنعه بدعم إيراني بشكل خاص، وتمويل روسي أيضاً.

ليس مهما الحديث الآن عن مسؤولية المجتمع الدولي، وأصدقاء الشعب السوري بشكل خاص في كل ذلك، لكن من المستغرب حقاً أن يحمّلونا نحن مسؤولية تقاعسهم عن الوفاء بالتزاماتهم ومسؤولياتهم الإنسانية تجاه شعب تعرض إلى أكبر محنة في التاريخ المعاصر، بل ما زالوا يحاولون، منذ سنوات، دون إسقاط هذا النظام، لأن الأسد بمعيار الحرب على الإرهاب هو أفضل من دولة الخلافة الداعشية، فأي عدالة في هذا الخيار؟ وأي مكافأة لتضحيات السوريين، وثورتهم النبيلة؟

يبدو هذا السؤال صعباً لمن راهن بالأساس على التدخل الخارجي لإسقاط هذا النظام، مع يقيننا أن كل ثورات العالم كانت بحاجة إلى الكثير من الدعم السياسي واللوجستي لتحقيق انتصاراتها، لكن الأهم من ذلك الدعم هو ما صنعته تلك الثورات والنخب القيادية فيها من أجل انتصارها.

إن عقوداً من الإفقار والإذلال ومصادرة المجتمع والدولة والسياسة والفكر لصالح سلطة القمع والفساد، هي التي أنتجت المشهد المتردي لتفكك القوى السياسية وهزال تلك القيادات التي وقفت مترددة حيال الانخراط بالثورة ومفاعيلها، ومن انخرط منها ما زال يقاتل على حصص، ونسب تمثيلية قد لا يكون لها أي دلالة في الواقع العياني.

وإذا كان لنا أن نتقبل عجز أغلب القوى اليسارية والقومية في سوريا عن اتخاذ موقف مشرف وتاريخي من الثورة، نتيجة ارتباطها العضوي بالنظام وأيديولوجيا المقاومة والممانعة، فإنه من غير المفهوم أن أغلب القوى اليسارية والقومية في المنطقة العربية ظلت مؤيدة بقوة لنظام الفساد والديكتاتورية، مع أنها بذلك تخون كل مبادئها وشعاراتها التي اعتاشت عليها عقوداً من الزمن، فهل كنا بحاجة لأربع سنوات حتى يبدأ الحزب الشيوعي الفرنسي إعادة النظر بموقفه مما يجري في سوريا، وليشارك أخيراً في نشاطات الذكرى الرابعة لانطلاقة الثورة؟ وكم تحتاج الأحزاب الشيوعية في سوريا وباقي الدول العربية حتى تعيد النظر بمواقفها؟

ولا أعتقد أن المؤسسة الدينية في سوريا وتعبيراتها السياسية كانت أنضج من نظيرتها القومية أو اليسارية، باستثناء الإخوان المسلمين الذين أقصتهم الصراعات السابقة عن عطاءات النظام، دون أن تقصيهم عن لعبة المحاصصة، والطمع بكعكة الثورة الموعودة، وأعتقد أن نوعاً من الفقر الثقافي، والإفقار السياسي الذي تعيشه القوى السياسة العربية عموماً، يحتاج إلى ثورة تُغيّر ليس النظام السياسي لسلطة الدولة فقط، بل لسلطة وأيديولوجيا تلك القوى والمنظمات التي استسلمت لأردأ الطبعات الأيديولوجية في ثقافتها، وإلا كيف لنا أن نفسر أو نفهم أن عظمة الإسلام الذي غير التاريخ والثقافة منذ ١٤ قرناً، ينتهي بنا في شعوذات البغدادي، وشرعييه الذين يُشك في معرفتهم بالإسلام أصلاً؟

يمكننا القول إن الكثير من القوى السياسية دخلت حلبة الثورة باعتبارها امتداداً للصراعات السياسية التي عاشتها خلال خمسة عقود تحت وطأة الديكتاتورية، العقلية التي تحكم هذه القوى، وتلك القيادات ذاتها عقلية المصالح الضيقة والأنانية التي لا ترى أبعد من أنف أصحابها الجشعين، وبالتأكيد شكل هذا عامل إحباط شديد للثورة السورية والقوى الشعبية التي انتفضت بداية ضد الإذلال والتهميش والقهر، والتي عبرت عنها الصيحات الأولى التي انطلقت في ساحة الحريقة: «الشعب السوري ما بينذل».

لذلك نجد أن النخب القيادية للثورة السورية لم ترتقِ لمستوى تضحيات الشعب السوري، ولا لمستوى المهام التي تنطحت للنهوض بأعبائها، بل هي لم تستطع أن تتوافق حتى على برامج الحد الأدنى بالمعنى السياسي والوطني، ولم تعرف حتى الآن تلك اللحظة الثورية التي تفترض بها أن تنزع عباءتها التقليدية بالمعنى الرمزي للعبارة، وترتدي أشعة الحرية التي تنطلق بها نحو فضاءات أوسع من مصالحها ومن شعاراتها، فالثورة ليست مجرد شعار نرفعه متى شئنا، إنها عقلية جديدة تقود عملية التغيير والتجديد، وتنسف حالة الركود التي وسمت حيواتنا وثقافتنا وحتى مخيالنا أيضاً، وهذه باعتقادي مسألة صيرورة قد تنمو وتتطور، وقد ترتكس وتتراجع، مسألة صيرورة بالمعنى التاريخي، أي أنها ليست عملية إرادوية أبداً، لذلك نحن نحتاج بقوة لاستعادة تلك الجذوة التي أشعلت فتيل الأمل في سوريا والمنطقة، الأمل بالثورة وإمكانية إسقاط الأنظمة الديكتاتورية، رغم استعصاء الانتصار راهناً، علينا العمل بدأب شديد على استعادة الوجه المدني والحضاري للثورة، وتحفيز روح التمرد والنقد والإبداع.

أعتقد أن السوريين الذين قدموا أنصع ملحمة ثورية في القرن الجديد، هم جديرون بحياة أفضل، وهم جديرون بالنصر أيضاً، ورغم استعصاء اللحظة الراهنة، ليس أمامنا إلا جذوة الأمل، ونبراسنا فيما قاله طارق بن زياد: العدو من أمامكم والبحر من خلفكم، ولا سبيل لنا إلا الانتصار.

السنة الأولى / العدد الثاني عشر / 15 آذار 2015

واقع الثورة السورية

علي العبدالله

مع دخول الثورة السورية عامها الخامس تثور بين السوريين أسئلة قلقة حول المستقبل والمصير في ضوء الحالة السائدة في البلد، وتمسك النظام بالسلطة، ووضع المعارضة، بجناحيها السياسي والعسكري، الحرج لما تواجهه من انقسامات وتشتت، وفشلها في إدارة الصراع، خاصة بعد تعدد ساحاته، ودخولها، تحت ضغوط إقليمية ودولية، في مواجهة مع الجماعات المتطرفة، وتجرعها هزائم عسكرية في معارك مع قوات النظام وحلفائه، وخسارتها لحواضن شعبية، ولامبالاة المجتمع الدولي بالوضع المأساوي الذي يعيشونه.

أحدث انفجار ثورة الحرية والكرامة وانتصارات الجيش السوري الحر هزات زلزالية وارتدادات محلية وإقليمية ودولية ضربت في العمق معادلات سائدة استثمرت فيها دول كثيرة، فأثارت هواجس ومخاوف هذه الدول لما يمكن أن يحدثه العامل الشعبي السوري، الذي نهض مطالباً باستعادة حقوقه ودوره، من متغيرات محلية وإقليمية ودولية، ما دفعها للتحرك لحماية استثمارها والتحكم بتطورات الثورة وتداعياتها.

ردت هذه الدول بالانخراط في الصراع بأشكال متعددة حماية لمصالحها ومشاريعها عبر دعم موقف أحد طرفي الصراع سياسياً وعسكرياً ومالياً وتغذية المواجهة بالتجييش والتعبئة السياسية والدينية والمذهبية، فتعقدت معادلة الصراع وتعددت الخيارات والتصورات، وهذا وضع سوريا تحت قصف عقائدي وسياسي وتسليحي، تسعى كل دولة من خلاله إلى فرض تصورها للحل، مستغلة تطورات الصراع على الأرض وتوازن القوى لإنضاج شروط الحل الذي يستجيب لمصالحها. وهذا رتب وجود صراعات متعددة الأطراف والغايات والأهداف: صراع بين الثورة والنظام، صراع بين معارضة سورية وقوى إسلامية متشددة وافدة بمشاريعها السياسية غير المقبولة، صراع إقليمي- إقليمي، صراع دولي – دولي، صراع دولي - إقليمي على مستقبل الإقليم ومآلاته والذي ستلعب طبيعة الحل في سوريا دوراً محورياً في تحديد صورته. وهي صراعات متداخلة ومتشابكة ومتراكبة، وكل منها يتقاطع ويتعارض مع الصراعات الأخرى إلى حد التناقض.

في هذا السياق جاء بيان جنيف ٢٠١٢/٦/٣٠ الذي عكس حصول توافق دولي على حل سياسي يُبقي على النظام مع إخراج رأسه من المعادلة وإعادة هيكلة الجيش وأجهزة المخابرات وتشكيل هيئة حاكمة كاملة الصلاحيات بالتراضي بينه وبين المعارضة.

لم تقبل إيران بهذا الحل لأنه لم يراع مصالحها فتحركت لحماية النظام وتعزيز مواقعه وتعديل توازن القوى لصالحه عبر دعمه عسكرياً ومالياً وإرسال مستشارين عسكريين ومقاتلين من حزب الله اللبناني والميليشيات الشيعية العراقية، ونجحت في إحداث تعديل في توازن القوى، وجاء انفجار الأزمة الأوكرانية واشتعال الصراع عليها بين الغرب وروسيا ليضع بيان جنيف على الرف وتبدأ الضغوط وعض الأصابع من جديد. وقد زاد في تعقيد المشهد انطلاق المفاوضات الأمريكية الإيرانية حول الملف النووي في ضوء سعي إيران لتعزيز موقفها التفاوضي وتكريس مكاسبها الإقليمية من جهة وحرص أمريكا على نجاح المفاوضات وعدم مواجهة التحرك الإقليمي الإيراني خدمة لهذا الهدف من جهة ثانية، فتوسعت إيران في إرسال المستشارين والميليشيات والأسلحة وتصعيد المواجهة والعمل على حسم الصراع عسكرياً.

أفرزت التطورات الميدانية، خاصة مع بروز داعش وضربه للجيش السوري الحر وسيطرته على المناطق المحررة وهجومه على الموصل واحتلال مساحات شاسعة من أرض العراق، وإعطاء الأولوية للحرب على الإرهاب والضغط على الأطراف المحلية والإقليمية والدولية لتبني هذه الأولوية، حالة جمود وتردد في التعاطي مع الملف السوري، ما فسح المجال للنظام وحلفائه لتصعيد المواجهة على أمل تسجيل مكاسب توظّف على طاولة المفاوضات، وتحرك منفرد بحثاً عن حل يفرضه على الآخرين، فطُرِح تصور إيراني قائم على إشراك المعارضة في حكومة يقودها النظام، وعقدت موسكو عدة لقاءات مع النظام والمعارضة تمهيداً لعقد لقاء بينهما في إطار ما سمي «منتدى موسكو»، كمدخل لبلوغ حل سوري- سوري تتوحد فيه السلطة والمعارضة في مواجهة داعش.

انعكست هذه التطورات والتغيرات سلباً على الثورة على الصعيدين السياسي والعسكري وعمقت الضعف البنيوي الذي تعانيه في ضوء فشل المعارضة في مأسسة قواها في كيان موحد، جبهة وطنية شاملة، وعقلنة تحركها السياسي والعسكري بتحويل الثورة من حالة العفوية إلى حالة منظمة ومنضبطة، فالمأسسة التي حصلت بتشكيل التنسيقيات والكتائب المسلحة جزئية وغير كافية لإدارة الصراع بإستراتيجية موحدة وخطة ميدانية واحدة، فالفشل في مأسسة المعارضة مأسسة شاملة وتشكيل جبهة وطنية موحدة على أساس وطني عام ترك الميدان للعفوية والتشتت وللعقائد الخاصة تفرض نفسها وتصوراتها وقرارها على المناطق فتتفتت القوى وتنقسم الجبهات والحواضن الشعبية ما أضعفها في المواجهة، وفي إقناع المجتمع الدولي بأهليتها لإدارة البلاد بعد إسقاط النظام. وقد تجلت سلبية هذا العامل عندما طرح بيان جنيف وعقد مؤتمر جنيف٢ ومنتدى موسكو حيث انعدم التوافق وتفاضلت القوى بدل أن تتكامل.

لقد خسر الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، الذي أنهكته الصراعات الداخلية والتدخلات الخارجية، فتآكلت مصداقيته وتراجع دوره، كما خسرت كتائب الجيش السوري الحر ثقة الحواضن الشعبية وتأييدها نتيجة الفوضى والممارسات غير المسؤولة وتراجع الدعم وفقدانها القدرة على التحرك الميداني المخطط والمنسق، ما أتاح لجبهة النصرة مهاجمة جبهة ثوار سوريا وحركة حزم والقضاء عليهما والسيطرة على ريف محافظة إدلب، وطفت على السطح، نتيجة لهذا الوضع، الخلافات القومية والدينية والمذهبية وانبعثت الولاءات ما دون وطنية، وتباينت الرؤى والخيارات الوطنية في المجتمع والثورة بين الفدرالية واللامركزية الإدارية ودولة مركزية بخلفية إسلامية(دولة خلافة) ومركزية تسلطية ودولة مواطنة وديمقراطية ومساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات. وهذا ادخل الثورة في مأزق حاد ما يستدعي إعادة التوازن للفكر والممارسة، وتحمل المسؤولية بجدية، وتجنيب الثورة مزيداً من النكسات والتراجعات، ومراعاة الحالة الإنسانية والمعنوية للمواطنين السوريين بعامة، وللحواضن الشعبية للثورة بخاصة، وهذا يتطلب أول ما يتطلبه من قوى الثورة، بجناحيها السياسي والعسكري، وحواضنها الشعبية توحيد الجهد وتنسيق التحرك لضمان استمرار الثورة وأهدافها والاحتفاظ بموقع رئيس على طاولة التفاوض لتحقيق نسبة معقولة من مطالبها، وهو هدف متاح إذا ما انحاز الجميع إلى التفكير العقلاني والعملي، واستبعدوا الصراعات الطفولية القائمة على إلغاء الآخر وإخراجه من المعادلة بالكامل، فالشراكة والتوافق والتمسك بنسبة استقلالية معقولة في اتخاذ القرار كفيلة بوضع المعارضة على جادة الصواب وفتح طريق الأمل واسعاً أمامها.

عيد الثورة

أنس العباس

من الصعوبة بمكان أن نحاول استرجاع وكتابة انطباع حول الثورة السورية في يوم عيدها. لأن ما حصل ليس مجرد حلم أو قصيدة مؤثّرة عن الحرية، وإذا ما افترضنا أنه كذلك، فهو أول أحلامنا الذي امتلك الشجاعة ونزل من سلالم المجاز ليعلمنا أن أي فكرة وأي عاطفة، في لحظة ولادتها الحقيقية، هي من لحمٍ ودم وصوت.

أتعمد ههنا استخدام كلمة «نزلَ» لأن كلمة نزول لها دلالاتها وإيحاءاتها في مخيال شعوب المنطقة، إيحاءات تفضي إلى قداسة ما. فها نحن، الشعوب التي أنجبت الأنبياء، نشهد بشارة نبيٍّ جديد، هذا النبي ليس فرداً، إنه نحن جميعاً، وصوته يتصاعد من حناجرنا محتشدين في الشوارع هاتفين باسم الحرية والكرامة الإنسانية، وسقوط نظام الطغيان. يا لها من معجزة، نبيٌّ اسمه الشعب، يستعير حناجرنا ليقول كلمته!

ربما، وفي كثير من الأحيان، غطَّينا، بسبب هذه القداسة بالضبط، أدوات النقد والتخطيط بخمار المعصومية، وتداولنا التبريرات دائماً في آخر النهار عن كل هفواتنا وهفوات من يصوغون أسماء الجُمَع، جُمَعِنا نحن. ولكن من هم؟ ومن أعطاهم الحق في اختيار أسماء مواليد حناجرنا وشوارعنا وجوامعنا؟

أخذ علينا كثيرون أن مظاهراتنا تخرج من الجوامع، لكننا لم نبالِ، فنحن نعرف أنفسنا. ولكن إلى أية درجة نحن نعرف أنفسنا بعد عقود كنا فيها بلا ملامح ولا أصوات؟ ونحن ورثة تاريخ لم تقم فيه ثورة حقيقية منذ ثورة محمد بن عبدالله؟ بالتأكيد ستخرج مظاهراتنا من الجوامع إذا أُغلقت الساحات بالحواجز والمصفحات والقناصة. وإذا قالوا أننا «عراعير» سنهتف للعرعور نكايةً بهم، واثقين من أننا لسنا بـ»عراعير»، وإذا خرجنا في مظاهرة حاشدة في يوم «جمعة لا للحوار» سنفرح ونقول لابد من بعض راديكالية الشعارات والهتافات أمام آلة القمع والرصاص، فنحن سلميون. وإذا سأل أحدهم بأية حرية نطالب، وماذا بعد سقوط النظام، اتهمناه بالرجعية، فنحن «فوضويون» حركتنا المستمرة هي المستقبل. وإذا هتف كثير منا «قائدنا للأبد سيدنا محمد» قلنا أننا من مجتمعات مسلمة وهذا طبيعي، بل إننا «ديمقراطيون» ونحترم هذا الهتاف. وكلما زاد إجرام النظام، وهذا لم يكن مفاجئاً، كان من السهل علينا التعاطف مع مظاهر متواضعة لحواجز ثورية تحمي المظاهرات في الأحياء من أي اقتحام أمني محتمل. بل إننا، وبانفعال وحزن صادقَين على أصدقاء أرداهم رصاص قوات الأمن في مظاهراتنا السلمية، هتفنا حانقين «ما عاد بدنا سلمية، بدنا رصاص وروسية». وكان من السهل أن تستغل جهات كثيرة هذا الحنق الذي تراكم في نفوسنا من وضاعة النظام الأمني الذي يقاوم الهتاف بالرصاص، لتساعدنا، مع ابتسامة صفراء تشبه ابتسامة المرابي، على الدخول في طور «الحرب» والثورة المسلحة.

هذا ببساطة ما كان يريده النظام، بل إنه لم يتورع عن مجابهة الحراك السلمي بارتكاب مجازر، لا لكمِّ الأفواه وتفريق الحشود، بل لاستفزازها كي تتورط في السلاح، فهذا هو الميدان المفضل بالنسبة لنظام عسكري مجرم من طراز النظام السوري.

ندخل الآن في السنة الخامسة على ولادة صوتنا. المشهد غائم، وخيبة الأمل غامرة. مئات الآلاف من الضحايا والمعتقلين، وملايين المهجّرين، وخارطة متداعية تتقاسمها قوى ظلامية. حتى فكرة الجيش الحر تفككت أمام قوة وانضباط وعقائدية التنظيمات الإسلامية. معارضة للداخل أشبه بملحقات الجبهة الوطنية التقدمية، ومعارضة للخارج غارقة في خلافاتها وانقساماتها على فتات من مصالح ضيقة وبائسة، وبلد محتل تتحكم إيران من جهة بخيارات نظامه العسكرية والسياسية والاقتصادية، ومن الجهة الأخرى تنظيمات متشددة ذات مرجعيات لا تمت لأهداف ثورتنا من حرية وديمقراطية ومواطَنة ومساواة وسيادة للقانون، تنظيمات لها أجنداتها وأهدافها واستراتيجيات عملها الفوق أو التحت وطنية.

ونحن، السوريين المناوئين للنظام المجرم، بلا قيادة ولا خطة عمل قادرة على استثمار الحراك الشعبي سياسياً لتحقيق الأهداف. سقوطات أخلاقية بالجملة من نخبنا السياسية والثقافية ومن السلاح الذي توهموا أنه سلاح الشعب لنيل حقوقه العسكرية. حالة من الخذلان الدولي بعد أن نجح نظام الأسد بتحويل أنظار العالم عنه إلى محاربة «الإرهاب» الذي يشكل خطراً على «السلم الدولي». بينما السوريون يرزحون تحت براميل الأسد وسكاكين داعش، ولا أحد يكترث إلى محوهم بكل أنواع الأسلحة، بما فيها الأسلحة الكيماوية، وسلاح حصار المناطق الخارجة عليه وتجويع أهلها حتى الموت أو الاستسلام.

ولكن على الرغم من الخراب الحاصل، وشيئاً فشيئاً، بدأ عمق وخطورة وتأثير الثورة السورية يتكشّف. فالأحداث وضعت كل القضايا الإشكالية في تاريخنا وثقافة مجتمعاتنا تحت الضوء، كما أن فهمنا للسياسة الدولية بدأ يتغير انطلاقاً من فهم هذه الثورة المركّبة، وتشابك المصالح الإستراتيجية والتوازنات فيها، وما فرضته من متغيرات على سياسات جميع اللاعبين الذين يدركون الأثر البالغ لنتائج هذه الثورة في تحديد مواقع الجميع.

ويبدو أنها، أي الثورة السورية، تفرض إعادة قراءة وتفكيك تاريخ المنطقة، ورصد علاقاتها مع المحيط السياسي والثقافي والجغرافي والاقتصادي العالمي، ومعالجة نصوص الدين الإسلامي بما يفضي إلى إصلاح ديني حقيقي يفتتح عصر أنوار، وبناء نسق معرفي جديد وشامل. فأدوات المعرفة القديمة باتت قاصرة عن اكتناه ومعالجة ما يجري، ولا بد من اجتراح أدوات خاصة بهذه المرحلة، لفهم كل شيء انطلاقاً منها، وتجميعه والبناء عليه.

الثورة السورية ستعيد تشكيل التاريخ، وإذا ما شعرنا بالإحباط في بعض الأحيان فهذا طبيعي بالنسبة إلى أفراد يعيشون ضمن مجتمعات تشهد تحولاً تاريخياً هائلاً على كل المستويات، وما يتطلبه ذلك من وقت ومخاضات عسيرة.

«الأسطورة والعتمة»

في الذكرى الرابعة للثورة السورية

بشار العيسى

حين هبّت رائحة شواء لحم التونسي «بوعزيزي» كان السوريون في سبات لاه بالشموع والكلمات، تتصيدهم سلطة متفسخة ونخب ثقافية فاسدة للمعارضة.

كانت سوريا الأسد والبعث ٢٠١١: تفتقد شروط ومقومات دولة طبيعية، تتحكم فيها سلطة أسيرة أسرة تكبر بالفساد تسود بالقمع.

«سلطة» غدا القضاء فيها الدائرة الأكثر فساداً، ورشوة لصالح الحاكم وتغييب العدالة.

«سلطة» الإعلام فيها آلة تنتج الكذب وتشوه الأدمغة، تؤدلج للفتنة المجتمعية.

«فضاء» اصطناعي، يمشي الاقتصاد فيه على رأسه بفعل قوانين اشتراكية عرفية لاستثناءات ليبرالية لخدمة الكومسيونات الأسرية المتنفذة، وفئة من المتواطئين مع الأجهزة الأمنية.

«كيان» المدرسة فيها تنتج الأمية وتنشر الكراهية وغدا الطلبة قطيعاً مرتزقاً وأداة شبه عسكرية في خدمة السياسات الأمنية للاعتداء.

«كيان» تحول فيها الدستور من شرعة حقوقية أساسه الفصل بين السلطات والمساواة بين المواطنين بالعدالة والحرية، إلى وسيلة احتيال تتماهى، وحاجة شخص الحاكم وأسرته وحزبه وقوميته بالاعتداء على شرعة حقوق الإنسان والقيم الديمقراطية، لصالح ألوهية الفرد الديكتاتور، والعائلة المقدسة والحزب الأمة..

كان غياب الديمقراطية المزمن، والشامل في سوريا غدا مسألة جرمية بامتياز. بفعل تنوع وتراكم قوانين الاستبداد وانتهاكاته فيما يمس حقوق الأفراد والجماعات والتربة والغابات والطرق والبساتين والشوارع وحتى بيوت الخلاء.

تصحّرت الأرياف وتريّفت المدن، وشاع الموت، وإلى جانب اللهو والسطو خرج السوريون للثورة من الموت البطيء، إلى حلم يتراءى كما في الصياغات النصية لجهابذة التشريع وحقوق الإنسان، حقيقة كان السوريون يهربون من الموت المحتم إلى ربما حياة مؤملة.

في آذار ٢٠١١ استقبل السوريون رياح التغيير الإعلامية باحتفالية الترحيب بالثورات العربية، وكانت صدفة محكمة أن تلاقيها السلطة بالقمع الشديد في جغرافيا، رأت أن القمع فيها «درعا» سيكون درساً لن يؤدي إلى ردود أفعال تذكر، لأنها الأضعف والأكثر هامشية، والخزان الذي تغرف منه السلطة جيشها الأمني والديماغوجي.

إن سلطة يقودها معتوه في صيغة إله، ملائكته أولاد خؤولة وعمومة وأبناء العشيرة يصعب عليه أن يحس بأن الكرامة الشعبية للفقراء لا تقاس بالجغرافيا ولا بالرشى الوظيفية، ولا برغيف الخبز، بل هي جرعة متوارثة في جينات تغذت بثقافة التمرد حتى الموت. خرجت صرخة أطفال درعا، وانتشرت كرامة القوم، وبلغت مسامع فقراء عامودا: «بالدم بالروح نفديك يا درعا». وشباب أدمن الفقر، ولم تهن كرامته قط خلال سنين العبودية.

ببساطة، خرج» سبارتاكوس» السوري بوجع وقهر مزمنين الى الخلاص «الحرية او الموت».

تتالت صرخات المدن السورية وأريافها وحواري الفقراء تزينت بالأغاني والهتافات، وسادت شعارات جديدة لها نكهة الإنسان «الشعب يريد».

لأول مرة اكتشف السوريون في أنفسهم القدرة على صياغة حلم بشعارات بسيطة، وثقافة أبلغ من الكتب والبيانات، ولافتات تغني عن خطب وأحزاب.

أعلن السوريون منذ البداية سلمية حراكهم وعمومية شعاراتهم بتعددية وطنية لاقت رصاص الحقد القادم من سلطة كانت للبارحة تعتبر حامية لهم فصاح الشعب: «خائن من يقتل شعبه».

حملوا جرحاهم وشهداءهم، والرصاص يلاحقهم إلى الحواري الشعبية، إلى مقابر في الحدائق المنزلية، إلى مشافيه التي أقيمت في المطابخ والأرصفة، ولم ينسوا من يطلق عليهم الرصاص، حملوا له زجاجات الماء وزهورا ذابلة علهم يقيمون بذلك جسراً بين الشعب وجيشه، هيهات كان الجيش قد غدا عصابة جرمية قاتلة لحاكم قاتل معاد حاقد.

كان هناك «غياث مطر» ذبح بسكين «جميل حسن» من حنجرته، ورميت جثة «حمزة الخطيب» مقطعاً عضوه التناسلي، وغيب «حسين عيسو» الكردي لأنه اقتحم مكتب النائب العام يطالبه بإطلاق سراح «نشطاء عرب» وما زال مغيباً منذ أربع سنوات، اقتلعت حنجرة «القاشوش»، وتصيدوا أغاني «الساروت». وذبح أطفال الحولة، وأهانوا تلبيسة وبانياس، وحاصروا باب عمرو، ودمروا حمص، وأحرقوا الغوطة بالكيماوي.

امتلأت السجون وفاضت، ففتح رجال الأعمال مستودعات معاملهم كمراكز اعتقال وقتل. توقفت القطارات عن خدمة الركاب، وصارت تنقل الدبابات في طول البلاد وعرضها لتقتل أكثر، لتدمر أسرع، لتحاصر أشد، ولم يستكن شباب الثورة، ولا هانت عزيمتهم.

لم تكن ثورة حزبية، ولا نتاج عقيدة أو أيديولوجيا، بل كانت حركة عصرية لشباب عصري، لم تردعه الفتنة، ولا حجم القمع والدمار، وباءت سياسيات التفريق، ورفعوا شعار الجمعة العظيمة وجمعة «آزادي». لم يردعهم اغتصاب القاصرات، ولا نهب المنازل، ولا القتل لحامل هاتف يدوي، أو لخارج من منزله نهار الجمعة.

لقد خرج الشعب إلى الحرية وهيهات أن يعود قسراً إلى العبودية!

لكن!

على الهامش من شارع الثورة نشطت نخبة خارجية بغير خبرة سياسية، وبغير كبير معرفة ميدانية بالمكون الاجتماعي والنفسي السوري لشباب الثورة لتأخذ دورها ومكانها في دعم الثورة والعمل من أجل نصرتها، تحالفت هياكل حزبية وشخصيات اسمية وثقافية من الداخل محاولة المرور بين الثورة والسلطة لتحافظ لنفسها على مساحة حضور لا تلغيها الثورة، ولا تسجنها السلطة، وبين هذه النخب الضالّة بفعل إخصاء السنين، حدث قطيعة لم يتمكن أي طرف من وصله برؤية سياسية بأخلاق وكرم الشجاعة ونكران الذات بما يليق بهذه الثورة النبيلة.

ما لم تتفرغ لإنجازه بشكل متواز مع أنشطة ميدانية، هو الرؤية السياسية التي ظلت كعب آخيل ثورتنا. هذا دون أن نغفل الرؤية السياسية.

لقد اخطأ شعب الثورة حين وثق بغيره من بهلوانات الخارج فأعطوه الثقة بكرتونة «المجلس الوطني يمثلنا» برشوة البعض:

ليس مجلساً وطنياً، بل مجالس، وإنه ليس وطنياً بل عصابة محاصصات لقطع الطريق على النشطاء.

إن مجلساً بغير برنامج ليس مجلساً. وإن مجلساً بغير هيكلية مؤسساتية يبقى مغارة «علي بابا». وإن مجلساً بغير هيئة قيادية جماعية مقتدرة ليس قادراً على أن يقود نفسه غير قادر على قيادة وطن.

إن مجلسا يأكل من لحم الثورة، ولا يرفدها، ولا يدعمها في الميدان، ولا يؤطر حراك شارعها ليس بمجلس.

إن مجلسا وائتلافاً يصرخ ليل نهار بأنه مع الحماية الدولية بغير تدخل خارجي، ولا يشرح كيف ستعمل هذه الحماية الدولية بغير قوة تحمي تدخلها لهو مجلس عاجز حتى عن التفكير بجدية.

لقد خان الجميع الثورة

خان الثورة من تصدى لقيادتها، خانها بالتهافت والفوقية والجهل والفساد والاستئثار والنهب والتبعية والعمالة، بعض للسلطة ورجال أعماله، وبعض للدول، وبعض لسوء ما في نفسه.

خان الثورة المجلس الوطني السوري، أحزابه وافراده ومؤتمراته وكياناته، خان الثورة ائتلاف مملوك وحكومته فعل سوء برشوة فاسدة لدول جوار. خان الثورة أصدقاؤها خشية نتائج انتصارها ديمقراطياً، فضخوها بزبانية الجهاد والقتل والإجرام. خان الثورة نخبها، الثقافية والسياسية، لأجل لقمة سكوت بفساد تعمم في صفوف المعارضة أكثر مما في السلطة. وأهين الشعب النازح، وخيرة عناصر الجيش الحر، وساد ويسود الصمت: الشيوعيون والإخوان والقوميون والديمقراطيون: غدوا قطيع ذئاب تنهش من جثامين شباب الثورة كأنهم ضباع مروضة، لم نعد نفرق بين الموالي والمعارض، بين الثائر والمنافق، بين الرجل والإمعة. نعم لقد أنجزوا للسلطة ما عجزت عنه.

نقطة أول السطر

حوارات ووطن

حبيب صالح

أخي السوري! استأذنك في ضرورة الإصرار على الطابع والنهج الوطني لكل أشكال وصيغ الحوارات بين مكونات الوطن! الحوار الوطني بمصطلحاته ومفرداته وغاياته!! الحوار الوطني أشبه بحوار على طاولة مستديرة, الجميع حولها إخوة وأبناء عم!! الجميع يدافعون ويتحاورون في قضية واحده هي الوطن ومصيره! ما أدلي به الآن, أمامكم, أرجو أن ينصرف إلى مواجهة إشكالية بنيوية تراكمية أنتجت خصومات، وأنتجت حروباً واقتتالاً, ونأت بالقواسم المشتركة فيه بعيداً، فلم يعد الإسلام وحده إطاراً للتداعي, ولا المشرقية الحضارية بيئة تاريخية ثقافية حضارية تفاعلنا في إطارها جميعاً, فمنا من فعل ومنا من انفعل، الفاعلون بحثوا عن المشتركات, والمنفعلون انصرفوا نحو الكينونات والمواجهات. في قضايا الوطن هناك قواسم جامعة: العيش الواحد, المصير الواحد, النسيج والعقد الاجتماعي الواحد, الاقتصاد التكاملي الواحد, الروح المشرقية المنبثقة من نضال الأجداد, والتي نسج فيها الجميع عناوينه وأحلامه وعذاباته، إذا تحدثنا في البنيوية, فذلك منهجي وحواري ومصيري، لأننا بحاجة ماسة لإعادة تصويب وإزالة الركام, بعد كل ما مضى! أنتم ونحن -دعني اسمي هكذا- أنتم ونحن تعرضنا للغزو والاحتلال, أنتم ونحن وهم, وكلهم اعتنقنا ديناً واحداً, واختلفنا واجتهدنا في إطاره, نشأت حروب بينية واقتتال تاريخي.. أنتم ونحن رحنا نطارد النصوص, العقل والنقل في حركية صاخبة, تارة اهتدينا فيها، وتارة تصارعنا حتى العظم.. أخطأنا في التاريخ لأننا نفينا كل ما هو مخطوط, فاقتلعنا الجذور, ولم نتمكن من إعادة بناء نسغ الحياة في تربة غير تربتنا المشرقية, وخسرنا الحداثة والعصرنة.. الأكراد خرج من بينهم عصاة ومارقون, ولكنهم ظلوا شعباً شامخاً, والعرب أصابتهم الصحراء بالتصحر, فانصرفوا نحو الذكورة والسبي والتسيد البيني, ولكنهم استمروا أمة بأحلام وفروسية وشعر وشهامة.. المسلمون هاموا بالنصوص, وضلت القواميس واغترب الإفتاء، فنشأت الباطنيات على هوامش النصوص وضلال الفتوى, الباطنيات بحثاً وهروباً عن تثاقل النصوص وقيودها, فأدى ذلك إلى الفتن الإسلامية وصراع الظاهر والباطن والأركان والصوفية.. الكورد هاموا في صحارى الشرق وخيلائه وخيالاته، حاولوا أن ينشئوا اختلافاً في النص والإثنية, فنالوا نصيبهم في صراع الضياع والإقصاء، ورثنا جميعاً ثقافة الاستبداد والنفي, وتحولت حواراتنا إلى مواجهات, وانتفت الطاولة المستديرة, وراح الجميع يتشبث بالكينونة بديلاً عن الوطن الجامع الموحد.. كل منَّا اختص لنفسه عاملاً في الصراع, وراح يتراشق فيه مع إخوة البقاء, إخوة الصحراء, إخوة التراب, إخوة المصير.. أذكر إذ أدخلوني لألج نفق الباطنية, عندما علموني أن إلهي هو علي بن أبي طالب, وأن أعدائي هم الخلفاء الراشدون, وأذكر في حوارات طويلة كيف أصر أهل النص على نفي الآخر غير السني وغير الشيعي، وكنت لفترة طويلة عضو المجمعين «القومي العربي» و»القومي الإسلامي»، وشهدت مرة بشخصي عراكاً بين راشد الغنوشي، وبين الشيعي محمد شمس الدين, وصل حدّ التماسك بالأيدي, لولا مسارعة أحدهم للاعتذار من الآخر، ورأيت بشخصي من يكفرني, ويقول إن كل علوي هو مشروع مخبر للنظام, وسمعت أساطير عن العلويين ما لم يصدقه عقل, من عبادة الفروج, والجدي الأزرق, وصولاً إلى تأليه آل الأسد.. كان كل ذلك والرد عليه عندنا وعندكم وعندهم, في كل المحافل هو مرثية حزن, بكائية تاريخ, وفجيعة أديان سماوية, تندثر ليعلوها الركام. لم تهدِ أحداً بل ضل عن وحدانيتها الجميع وانكفأوا إلى جاهليتهم، وكنا جميعاً فينا توق جيني وجودي للهيام، للتشرد للصحراء, فتحول فكرنا كذلك, علاقاتنا عبرت ذلك, حواراتنا اليوم تكتسي حلة الرماد الصحراوي..

أيها السيد المحترم في سورية عشنا خمسين عاماً تحت ظل آل الأسد.. لم يحاورنا النظام لحظه.. لم يأت بمشروع للحوار الأفقي ولا العمودي.. لم يحاور, ولم يسمح بحوار الكردي للعربي، ولا السني للعلوي، ولا المسيحي للمسلم، ولا القومي للقومي, ولا الإنسان للإنسان.. كانت سورية دائرة ثقافية وطنية مغلقة.. لم تكن هناك قوانين للتواصل الاجتماعي.. كان الحرف والكلمة والمصطلح والشعر محرماً.. لم نعرف في سورية إلا المحرمات.. في تاريخنا إشكالية التأليه, وقد نوهت إلى بعض أشكالها, وأنا أذّكر بالمتنبي الشاعر الأكبر المتضخم الذات, بعده كثيرون من أدباء وسياسيين, أذّكر بالطريقة الغجرية التي تأله فيها سليمان المرشد، وتذكرت غورو صاحب قرار إنشاء الدولة العلوية عام ١٩٢٢ وأتذكر اليوم الطريقة الغجرية العسكرية التي تأله فيها حافظ الأسد ذاته, فأصبح خليفة ومرشداً للسوريين، وأصبح كالبيت الهاشمي, يقتفي الآخرون سيرهم بالبحث عن الحسب والنسب وامتشاق العمائم السوداء.. راح كل عربي ومسلم وكردي يرتدي حتى الثياب والأزياء التي تمايزه، وتبني جداراً بينه وبين شقيقه, فنشأت الصلبان والسيوف الفقارية, والعمائم المستديرة والمستطيلة والفضفاضة, وأمعن الشيعة والسنة في أفانين الحجاب, والسودانيون بطول لفات الرأس, التي بلغت عشرة إلى عشرين متراً, وبعد ظهور النفط أمعن الخليجيون في نمنمة الدشاديش، واقتتل الأردني مع الفلسطيني على لون الشماغ, والعلويون أمعنوا بطريقة غجرية في تغليظ ألفاظهم المنطوقة، وتحولوا إلى طائفة القاف والقلقلة.. الدروز فعلوا.. الكورد فعلوا بينيا, وبينهم تسميات كثيرة يتكارهون بها على بعضهم, ناهيك عن المشرق والمغرب والآسيوي, والإفريقي، بعد ذلك المحافظات فالدساكر فالقرى فالحارات, فالعوائل.. أمة بكل مكوناتها تحتاج اليوم للخروج إلى آفاق العيش الواحد.. إلى قيمة الإنسان الواحد.. إلى احترام الخصوصيات القومية والثقافية والسياسية، دون الولوج في صراع الديكة, ونباح الكلاب, وركوب الهوادج وإطالة اللحى والشوارب، أمة تخرج إلى النور وبناء ما بناه غيرنا في الشرق والغرب.

الأخ السوري.. على العرب بكل فصائلهم والكورد والآشوريين والسريان والأرمن والشركس, والموحدين أتباع النصوص, مما ذكرت, أن يدركوا أنهم اختلفوا في كل شيء، فلم يوحدهم سوى الوطن.. الوطن, والعقد الاجتماعي الواحد الذي يفرق في الوحدة, ويوحد في الاختلاف.. حق الوطن وقيام الوطن والتوحد في الوطن, هو حق الحياة: الجميع يولدون بسنن واحده ويموتون وينكحون ويلدون ويتغوطون وينطقون ويشعرون بإنسانية واحدة, ذلك الذي يسقط دونه خيارات الانعزال والالتحاق بنظام قاتل حاقد, مجنون, متورم, وعلى الجميع أن يدركوا أن الوطن, وليس النظام, هو قوة ونظام, ودرع البقاء, تعددياً, ديمقراطياً، فليستعففوا في هذا الوطن, فيبنوه ثقافياً تكاملياً ديمغرافياً وسياسياً ويذودوا عن دمائه وبقائه وليستديروا لمحن التاريخ ومهاناته.. وليقيموا وطناً موحداً متكاملاً, وليقبل الجميع بالجميع.

قصة لم تنتهِ..!

عبد الرحمن حلاق

كان من المفترض أن ألقي هذه الكلمة ـ القصة في أمسية قصصية في دولة الإمارات وذلك بعد التنسيق لأسابيع طويلة بين رابطة الكتاب السوريين الأحرار وبين اتحاد الكتاب الإماراتيين، لكن كان لوزارة الداخلية في دولة الإمارات رأي آخر إذ منعت ولم تصرح لي بالدخول وكذلك لم تصرح للصديق خطيب بدلة. وتم إلغاء النشاط الثقافي المشترك.

كتب زكريا تامر في صفحته الخاصة على الفيس بوك:

لا يستطيع الكاتب في المجتمع المتخلف أن ينتج أدباً للمتعة والتسلية إلا إذا كان متحجر القلب أو أعمى لا يبصر ما حوله، ولا يستطيع تجاهل الناس الذين يعيشون في ما حوله أحقر حياة محرومين من الحرية والكرامة والعدالة، كأنهم ولدوا ليهانوا أعواماً ثم يموتون.

القصة

القصة بدأت، لا أطلب منكم صمتاً فهذا النوع من القصص يقتله الصمت، هذا النوع من القصص يحتاج كي ينمو ويحقق الدهشة المرجوة؛ يحتاج لأعلى درجة ممكنة من الضجيج، قبل أسبوع واحد فقط من بداية القصة دخلت عوالم التواصل الاجتماعي وجلست أنتظر البداية، لا أخفيكم سراً إن قلت إني أنتظرها منذ زمن طويل، ولأنها قصة ليست ككل القصص هيأت نفسي راوياً مشاركاً فالراوي العليم عادة يتموضع خارج الحدث، لكني اكتشفت أيضاً أن الراوي المشارك أقصرُ نظراً، تستهلكه التفاصيل محكوم بزاوية رؤية مؤطرة، بينما العليم يطل على المشهد برؤية بانورامية جامعة، لذا قررت أن أكتب القصة متلبساً الدورَيْن معاً، هل قلت (أكتب القصة)؟ كيف أكتب القصةَ، والقصةُ ما تزال تحدث ولما تنته بعد؟ يتصاعد فيها الحدث، وتتداخل الأدوار، وتبلغ ذروتها.

في منطق السرد: الحكاية تشرف على نهايتها عند بلوغها الذروة ـ العقدة. لكن منذا الذي سيفكك عقدة الحكاية؟ وإلام ستؤول النهاية؟ والأهم من ذلك كله، كيف أكتب قصة ما تزال تحدث؟

يحكى أن ساحراً عبثياً حاقداً، لا أحد يعرف عن سحره أو عنه شيئاً، كل ما يعرف عنه أن حافلة رسمية صعدت إلى مسكنه في خاصرة الجبل ونقلته إلى وسط المدينة، خلق أتباعاً ومريدين، وبواسطةٍ ما ألقى كلمة عبر الإذاعة الرسمية والشاشة الرسمية، بث فيه تعويذة خاصة أصابت عقول البشر بسحر غامض ومرض غامض، فأصبحوا عبيداً، كان من السهل عليه بعد ذلك أن يقضي على الحافلة بمن حفلت، وعلى الواسطة وما فعلت، فبدا في عيون عبيده فرداً أحداً خالداً مخلداً. خلق الساحر حكايته ووصلت الحكاية ذروتها، تمثلت عقدة قصته في القضاء على من لم يسمع الخطاب، لم يرهق فكره بعناصر التخييل الروائي فالساحر دائماً يملك في جعبته حلولاً جاهزة، عاد إلى خاصرة الجبل يعجن من طينها قوالبَ يجففها على النار ويفخّرُها ليبني منها أسواراً يتحصن خلفها تحميه من سبارتاكوسٍ لا بد سيولد كما أخبرته أمه العرافة.

تلك لم تكن القصة التي أود كتابتها. البطل في قصتي يشبه هذا السبارتاكوس، إلا أن الفارق الجوهري بينهما، أن رفاق سبارتكوس من العبيد كانوا يشاركون قائدهم الحلم. بينما البطل في قصتي مختلفٌ، فرفاقه في الحلم قلة، وكان عليه أن يحارب هؤلاء العبيد أولاً، ثم يحارب من استعبده، نعم عليه أن يحارب العبيد لأنهم أول من تصدى لصرخته، فالعبودية مع تقادم الزمن عليها تتموضع بين الجينات وتغدو عند صاحبها طوعية تنبثق عن موقف فكري ومؤدلج تبرره وتقدم له نخبة مثقفة.

من حسن حظ سبارتاكوس أن أحداً من رفاقه لم يكن مثقفاً، وكذلك لم يكن بينهم من تخرج في كلية الشريعة الإسلامية في جامعة البعث، والبعث ليس حزباً قطرياً كما يتوهم البعض. البعث جانب من تعويذة ذلك الساحر تنتقل بين الأجيال جينياً كما تنتقل عبر الأثير. لذلك يبدو بطلُ قصتي مختلفاً عن ذلك القرطاجي الذي أسره الرومان وباعوه عبداً لينتفض بعد ذلك في ثورة عارمة وينال شرف خلود الاسم. أما بطلي في القصة فسأسميه السوري. السوري الذي لم يسمع الخطاب ورفض أن يكون عبداً، السوري الذي ما يزال يعيش أحداث القصة، القصة التي لم تنته، السوري الذي ظن أن الأخلاق ليست مطية، السوري الذي ظن أن الأديان ليست مطية، السوري الذي ظن الخير في أهله، وظن الخير في أشقائه، وظن الخير في عالم يدعي منظومة أخلاقية مشرقة، السوري الذي ما يزال يظن أن الحكم رسالة وليس إدارة، السوري الذي بدأ القصة فتكالبت عليه الأمم. تلك ليست قصة أيها السوري إن لم تغير الحدث وتنحو بالحكاية منحى آخر سنغيره نحن بالقوة، بالحيلة، بإطفاء ما أشعلت من نور، أيها السوري. القنديل الذي تحاول إضاءته سيصيب عيوناً تعودت العتمة بالعماء التام، أيها السوري من أين لدود الأرض، القدرة على تحمل ضوء الشمس، أتريد للخلد المستريح في أنفاقه أن يعيش على سطح الأرض، أيها السوري حاذر فأنت تلعب بنواميس الطبيعة وتحدث خللاً بيئياً عظيماً.

تلك ليست قصة أيها السوري وسترى أن البطل الملحمي الذي تريد خلقه قد دفنّاه مع أول رواية أنتجتها حضارتنا الصناعية، قرون عديدة ونحن نمجد ونلمع ذلك البطل الفرد، المهزوم حيناً، والمأزوم أحياناً، والمنفصل عن الجماعة طوال الوقت، أتريد العودة بالتاريخ إلى الخلف، لقد انتهى زمن الملاحم. لقد وصلت متأخراً.

ينظر السوري حوله، أنا لست معنياً بملاحمكم، لست معنياً بأبطالكم وقصصكم، أنا إنسان وأطالب بحياة إنسانية، أنا إنسان. لكن ملوك الأرض جميعاً اجتمعوا تحت الأرض وقرروا تحويل التصاعد الهارموني للأحداث، أتوا بطبول غريبة بدأت القرع على إيقاعات سحرية خاصة تموسقت بداية مع الإيقاع السوري ومشت معه على سلمه الموسيقي ورويداً رويداً بدأت تلعب دور المايسترو نقرة هنا ونقرة هناك، نقرة هنا ونقرتين هناك نقرة هنا وثلاث نقرات هنا فتغير مجرى النهر وفاض دماً، علا صوت الطبول وصرخت صرختها الأخيرة، نفث الساحر الشرير همسته الشهيرة: كوني داعش. فهلل الملوك فوق الأرض هذه خاتمة القصة، دارت عدسات الإعلام دورة عكسية، غاب السوري عن المشهد وحضرت غيلان الأرض، السوري يصرخ لم تنته القصة فيسيل دمه في الشوارع وفي البيوت، يصرخ السوري لم تنته القصة فيموت تحت التعذيب، يصرخ السوري لم تنته القصة فتمتصه البحار والقارة العجوز، يصرخ السوري لم تنته القصة فيصرخون في وجهه أنت إرهابي. القصة لم تنته والسوري الذي مازال يصرخ ويستصرخ بات وحيداً يتساءل بحرقة شديدة لماذا يكرهنا العالم يجيبه سوري آخر بقصيدة:

العالم يكرهنا- نحن السوريين- لأسباب كثيرة..

أهمها.. غناؤنا حتى لحظة النزع الأخيرة..

من أخرج الراوي العليم من الحكاية؟ من أراد لها أن تنحصر في وجهة نظر مؤطرة؟ يتساءل السوري فيُتهم بنظرية المؤامرة، يصرخ طفل تحت الأنقاض في وجه الإمبراطور: أنت لب المؤامرة ومحركها. تسارع النخب المثقفة بإسكات الطفل إلى الأبد: لا تخطئ يا صغيري فثياب الإمبراطور رائعة... تستجمع امرأة أشلاءها الممزقة بصاروخ بالستي وتصرخ في وجهه: أنت عارٌ. يسارع الإعلام بوضع لصاقة على فمها كتب عليها: مجاهدة بشرفها.

لماذا يريد العالم لهذا السوري أن يبقى في حظيرة الذل والاستعباد؟

تقفز في وجهي قردة العالم أجمع وتصرخ: هذا السؤال لا علاقة له بالحكاية، وأنت مؤلف غير ديمقراطي تمارس ديكتاتورية قميئة على شخصيات القصة، لقد اتفق علماء النقد الأدبي في العالم أن الرواية التي لا تعتمد تعدد الأصوات في حبكتها هي رواية فاشلة يكمن في قلب صاحبها ديكتاتور صغير.

تلك كانت القصة التي لم أستطع كتابتها، فقد امتلأ القلب قهراً وغضباً، سأترك القصة بين أيديكم، وعليكم أن تجدوا الحلول الناجعة للمآزق التي وصل إليها شخوص الحكاية بين أيديكم الآن:

الطفل الذي تحت الأنقاض، المرأة التي تستجمع أشلاءها، الأشخاص الذين فقدوا معظم أعضائهم، وربما الكثير من لحوم أجسامهم في أعالي البحار، الساحر الشرير وعصاباته، والنخب التي كنا نظنها مثقفة. وثمة الكثير الكثير من الشخوص ما يزالون بانتظار المآلات.

هل أعجبتكم الحكاية؟

هل سيقف أحدكم بعد قليل صارخاً في وجهي: أنت أعمى لا تريد أن ترى كم هي جميلة ثياب الإمبراطور.

الثورة والنهج الأمريكي الجديد

آرام كربيت

النهج الأمريكي الجديد بعد انهيار المنظومة الاشتراكية يقوم على إدارة العالم بالأزمات، وهو على خلاف عميق مع النهج القديم القائم على إدارة أزمات العالم. فإدارة العالم بالأزمات تعني خلق فيروس محلي، متحرك، غير مقيد ولا يترتب عليه مسألة قانونية أو حقوقية، مدفوع الأجر من الشركات الاحتكارية، يعمل وفق أجندة على توافق مع السلطة الأمريكية. هذا الفيروس غير محدد بمكان أو زمان ينتقل من مكان لآخر حسب ما تقتضيه المصالح الآنية والإستراتيجية للشركات الاحتكارية، وتكيف السلطة معها، ينقل الأمراض المستعصية أو المؤقتة، يعدي ويخرب ويدمر ويزرع الخوف وعدم الاستقرار في بناء العمران والعيش الطبيعي، وهذه العدوى تنتقل إلى الأفراد والتجمعات البشرية والمجتمعات القائمة. يمكننا أن نرى أعراضه المرضية المستعصية، الحمة الدائمة، الوجع الدائم، البقاء في حالة قلق وترقب والنوم في السرير المرضي وعدم التقدم إلى الأمام. وعدم القدرة على الإتيان بأي شيء سوى الانشغال بذاته، بألمه، ويصاحب ذلك حالة هذيان، جمود وخمول. أي نبقى في حالة عطالة كاملة، دول ومجتمعات. وفي حالة ضياع وغياب عن القيام ببناء مستقبل لنا ولأطفالنا، دون إنتاج أو عطاء.

إن أغلب الوظائف السياسية التي تريد الولايات المتحدة تنفيذها في المنطقة تقوم بها تنظيمات مسلحة، مصنعة على مقاسها بمشاركة شركاء فاعلين مهمين وجاهزين على تلبية الدور الموكل لهم، ومعتمد عليهم، للقيام بالخدمة كالسلطة السورية وإيران وتركيا والخليج وغيرهم. وجميع هذه السلطات المذكورة أعلاه، متحالفين موضوعياً مع بعضهم، وتربطهم مصالح حيوية وموضوعية ودائمة.

الثورة كبنية سياسية واجتماعية وفكرية هي على نقيض مصالح هذه الدول وحساباتهم الذيلية والدونية المرتبطة بالولايات المتحدة وإسرائيل. من هذا المنطلق، علينا أن ننظر إلى مصالحنا كمجتمع وثورة، أن نكون مستقلين عنهم بالكامل، وأن تكون برامجنا السياسية والفكرية مغايرة للسلطات العربية وطموحاتها التي تصب في الطاحونة المغايرة لمصالحنا. أن نفكر بشكل مستقل ونرسم سياسات طويلة الأمد، تُستمد من حاجات شعبنا عبر برامج طموحة، دون أن ننتظر مساعدة أية دولة عربية، وإلا سنعيد إنتاج دولة ديكتاتورية تلتحم بالنظم العربية وتقوم ثقافياً على أسس استبدادية.

الدول في البلدان المركزية خادمة مطيعة للشركات الاحتكارية، تنفذ أجندتها ومصالحها في ظل نظام عولمي مهترئ.

التناقض بين الدولة والاقتصاد وصل إلى مرحلة يحتاج إلى القطع، للوصول إلى شكل أكثر تكيفا مع حركة الاقتصاد الما بعد وطني أو دولي، ولا يوجد في الأفق القدرة على ذلك، لهذا يحاول كلا الطرفين أن يتكيف على حساب مصالح المجتمعات الضعيفة والصغيرة وغير القادرة على حماية نفسها، والعمل على سحب المكتسبات الاجتماعية والسياسية من دول المركز.

لقد استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تشحن النظام الدولي بخطة محكمة، ظاهره غير باطنه، وسلوكه المعلن غير ممارساته الفعلية. نحن نواجه نظاماً غير أخلاقي وغير إنساني، تحالف قوى المال الاحتكاري والصناعي والبترودولار والمجمعات الصناعية العسكرية للسيطرة على مقدرات العالم. وما هو معلن وظاهر لا نعرف عنه إلا النزر اليسير.

لقد تم بناء الدول في العالم لبنة لبنة، لتنظيم العلاقة بينها ضمن نظام سمي في يوم من الأيام بالنظام الدولي، المجتمع الدولي. العلاقة بينها موضوعية اليوم، حيوية، قائمة على تنسيق المصالح بينها، مستقلة إلى حد كبير عن مصالح المجتمعات. لهذا يمكننا القول، لا يمكن إسقاط نظام ما، في بلد ما، أو في أي مكان من هذا العالم، إلا بتوافق وتنسيق بقية الدول.

العمل السياسي في البلدان الصغيرة كسورية أو لبنان أو اليمن أو غيرهم، يحتاج في المقام الأول لمعرفة إستراتيجية النظام الدولي برمته، وانعكاس ذلك على واقعنا. وبرنامج أي حزب سياسي، يجب أن يضع في حسبانه، حوامل الخارج السياسية والإستراتيجية ضمن رؤيته السياسية. بمعنى، أي حزب سياسي، يجب أن يقرأ مصالح الدول الكبرى في بلده، وكيف يمكن أن يخفف وقع ذلك عليه. أن تبقى الثورة سلمية. وسلمية فقط، لأن حمل السلاح هو رغبة النظام الدولي والنظم التابعة له. هذه القراءة ضرورية للغاية.

أغلب الأحزاب السياسية في بلداننا متكلسة، من مخلفات الحرب الباردة. ويقرؤون السياسة من منظور قديم. وعلينا وعي ذلك وإلا بقينا في مكاننا، دوغما، متخلفين عن حركة الواقع والسياسات التي تخطها بلدان المركز. وسنحترق إذا لم نعرف كيف نتصرف.

علينا وضع برنامج يكون مشروع بناء دولة وطن، هو حجر الزاوية لعملنا لنصل إلى تحقيق أقل الشروط قسوة في عالم اليوم القاسي.

خطاب الثورة أضحى إسلاميا وهذا ما يريده النظام. ولهم أعلامهم السوداء. والجيش الحر انضوى تحت ألويتهم، مرة مع داعش ومرة مع النصرة، ومرات مع غيرهم من المنظمات الجهادية المسلحة السوداء التي لا تعرف ما معنى بناء دولة أو مؤسسات معاصرة. وقسم السوريون أنفسهم إلى جزر مفككة وانتماءات متعددة دينية وطائفية وقومية لكل واحد منهم له علمه' شهداؤه، ندابيه، ويبكون على أطلال مهترئة. وبالرغم من الوجع والألم الواحد يعمل أغلبنا على تقسيمه إلى أجزاء

على القوى الحية أخذ مسافة كبيرة من هذه القوى والمنظمات الإسلاموية، وعليهم مراجعة خطهم السياسي بين الفترة والأخرى ضمن رؤية إستراتيجية شاملة، وأخذ مواقفهم بوضوح ودون لبس. ومراجعة ما حدث منذ بدء الثورة وإلى اليوم. وإدانة جميع الأعمال الإجرامية التي تقوم بها السلطة وهذه المنظمات المنفلتة من عقالها من قتل وحرق وسبي وتهديم للآثار والتراث والحضارة في شرقنا وتاريخه علينا التمسك ببرنامج الخط الثالث، لا للنظام ولا للمنظمات المسلحة. وإن لا نقبل أن يأخذنا النظام وحلفاؤه في النظام الدولي إلى ساحتهم. وكما هو معروف عن ذلك هو بارع فيها، وهو الصراع مع قوى طائفية تكون على مقاسه.

الثورة ذلك الطوفان الذي يجتاح السدود

إسماعيل خليل الحسن

تفسد البيضة إذا عجز الجنين المتخلق فيها عن كسر القشرة ثم الولادة, فتزكم رائحتها الأنوف.

هذه هي حال النظام البعثي الأسدي, الذي بات مصدرا ثرّاً للروائح النتنة والفضائح والفساد, حيث يعجز ما رشّ من البخور والعطور والمساحيق القومية والتقدمية والعلمانية عن إخفاء تفسخ الجيفة ثم انفضاحها إيذانا بسقوطها .

الثورة تقوم بوصفها قطيعة معرفية، وهذه القطيعة كانت تتراكم كلما ازداد النظام الأقلوي قمعاً ثم اغتراباً عن المجتمع. لقد كانت القشرة تفرض ثقافتها الهشة على مجتمع بات ينتج ثقافته الجديدة ببطء شديد، بسبب غياب القوى المفكرة والفاعلة والعاقلة، لقد كان المجتمع يفكر لوحده بلا معلمين وملقنين. كلما ازدادت سنوات القمع وفرض نمذجة المجتمع بما يوافق آلية الفساد والركود والاستنقاع، كلما تخمّر في البنية السفلى ميل نحو الرفض والافتراق والتهيؤ للنهوض. لقد استثمر النظام في الخطاب السياسي كثيراً، وخاصة في موضوع الصراع العربي الصهيوني لكي يبرر فرضه الحجر على الفكر والاقتصاد والمذاهب، هذا الخطاب الذي يروق ترداده لحارقي البخور من القوميين العرب، وأخص اللبنانيين الذين بشروا من الأيام الأولى بسحق الثورة وترداد مقولتهم السمجة «خلصت» وصولاً إلى حمل السلاح، وارتكاب المجازر في المدن والبلدات السورية دفاعاً عن النظام.

حتى لو «خلصت» افتراضاً، بعد هذا الدمار والقتل وارتكاب الفظائع، كيف ستستقر الحال لنظام فقد الكثير من ملاءته السلطوية على كامل التراب السوري، وأصبح مجرد فصيل بين جملة فصائل مقاتلة يخسر أمامها باستمرار طاقاته البشرية وموارده الاقتصادية، ولم يعد رأس النظام سوى أحد أمراء الحرب التي استدرج إليها قوى الرفض مكرهاً أخاك لا بطل.

كان المجتمع السوري تواقاً للثورة لكنه لم يعدّ لها العدّة، كونه مجتمعاً بلا رأس يقوده، لما كانت عليه قوى المعارضة من الشرذمة والهلهلة بسبب القمع المنهجي الممارس ضدها، أما النظام فكان يعدّ العدّة لمواجهة أي ثورة بجيش كامل التسليح وشرطة ومخابرات وخطط وألاعيب مخابراتية، حتى قرّ في ذهن الأب المورث أن المزرعة التي يورّثها لأبنائه باتت آمنة من ثورة العبيد والأقنان.

لكن فيض الثورة وإشراقها داهمه على غير توقع، وقامت أشراط الساعة، فأخرج النظام من جعبته ما أعد من خطط وألاعيب مناطها القتل والتنكيل لشعب ثار أعزل إلاّ من حناجره، وظلّ يقاوم بصدره العاري في السنة الأولى.

تودد الثوار في البداية للطائفة العلوية، وكانوا ينعتونها بالطائفة الكريمة، بل إنهم خصصوا جمعة باسم صالح العلي, لكن العقائديين من الطائفة ركبوا رأسهم ورفعوا شعار الأسد أو يخربون البلد، وكان لهم من القوة التدميرية الهائلة بمساعدة الروس والإيرانيين ما مكنهم من تدمير أغلب المدن السورية فوق سكانها المدنيين بظنهم أنهم يضربون بذلك الحاضنة الشعبية للثورة.

أغلق النظام الفاجر كل الطرق المؤدية إلى حل معقول لتجنيب البلد كارثة ماحقة ووضع عليها الإشارة الحمراء، لكن الطريق الوحيد السالك بإشارة خضراء هو طريق الحرب الأهلية, لقد مهد النظام لذلك، وساهم وما زال عن طريق الإبادة الجماعية من طرف واحد للطيف السني.

لكن الحرب الأهلية تأبى أن يتحكم لاعب واحد بها، وإذا بدأت لن تتوقف حتى تقزّم المتضخّم وتضخّم ما تقزّم.

الحرب الأهلية تعيد صياغة الحجوم من جديد، فلا يشغل طرف أكثر من حجمه، وسيخسر الطرف الذي استأثر بكل شيء في غفلة تاريخية كل شيء، هي تطهير ذاتي وتقليع لمقولات بالية ابتليت بها الأمة، هي فضح مستور هو مفضوح أصلاً، سقوط أقنعة ونهاية تمثيليات، يقف كل طرف أمام الآخر عارياً إلا من حقيقته, نهاية موت سريري أفقر الناس وروعهم وضيعهم وأراق دماءهم.

وإن كانت الثورة قد ابتعدت عن شعاراتها ومنطلقاتها الأولى في التّوق إلى الحريّة والعدالة وتلبّستها مفاهيم جديدة، كان ذلك بفعل التدخلات والكمائن المخابراتية، وأكياس الممولين الذين فاض كرمهم على حاملي السلاح، لكنها ستعود إلى نقطة البداية بوصفها قطيعة معرفية وتقليعاً لسلطة الاستبداد، وكل استبداد، وباعتبارها فصلاً هاماً ومفصلياً في ثورات الربيع العربي، وهذا سبب الحذر الشديد منها، وتنصل وتقاعس، بل تآمر الشرق والغرب والجنوب والشمال عليها. وطالما ابتعدت الثورات واغتربت عن مبادئها الأصلية، وقد يستمر هذا الابتعاد عقوداً من الزمن، لكن جذوتها تظلّ تعسّ تحت الرماد حتى يحين وقت انبعاثها من جديد. ليست الثورة لعبة سياسية، بل هي تأصيل فكري ومعرفي وعودة بالمجتمع إلى منابعه الأولى.

ليست الثورة سلطة ومناصب ومقاليد, بل هي عودة إلى العقد الاجتماعي، بعد انفراطه، عودة التعاقد بين مكونات المجتمع وأطيافه المختلفة والمؤتلفة في الوقت نفسه، على أسس جديدة سليمة لا تختل فيه الموازين.

ينمو مع الثورات الحقيقية نقدها الذاتي، ودونه لا يستقيم أمرها، فالنقد المفتوح يحصنّها من الثورة المضادة، ويجعلها تميّز بين الغثّ والثمين، وبين المخلصين لها وبين أدعياء محبتها الذين يسعون للانقضاض عليها.

لا بد أن ننحني لهذا الشباب الطافح بالأمل والحيوية وحب التضحية، الذي انخرط في القتال بعد أن ملأ صداحه الساحات في مواجهة الرصاص الحي، والذي أسقط كركوزات السياسة وباروناتها والمتطفلين عليها واللقاليق والمساخر الذين ادعوا تمثيلهم للثورة والتكلّم باسمها, وإن كان بعض هذا الشباب يفقد اتجاهه الصحيح أحياناً فلأن البوصلة الثورية قد تشوّشت وغابت معالم الطريق بفعل ألاعيب السياسة والانخراط بالتفاصيل المبتذلة، وليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل وأصابه. ويقيناً لا بد لهم من عودة إلى حضن ثورتهم لبناء سورية الجديدة من خلال تأصيل قيم الثورة وغرسها في أعماق الوجدان الاجتماعي..

قوس قزح

اليوم كما الأمس.. كما غداً

نجاة عبدالصمد

ننهض إلى أعمالنا، نكمل دربنا الطويل العسير، نرمّم بيتنا المشروخ، نحرس ودائعنا الباقية في حاراتنا الشهمة، حاراتنا المخنوقة بالظلم، وبالفقر، وبالنكران.

...

أبناؤها نحن. عالقون بأرضها كما يتعلّق طفلٌ بثوب أمه، حتى وإن نهرته.

نتقاسم فيها الحبّ كما نتقاسم البطانيات. وفيها نحرس وصايا الشهداء.

وفي زواريبها نوقن أننا كثيرون، كثيرون، حدّ أننا لن نفنى ولن نموت.

ما زال فينا ألف عرقٍ حيّ.

نقولها رائقين. نقولها كما يرمش الجفن المدلّل، كما يسخن الدم في القلب حين يعشق، وكما تلقانا بوابة البيت مفتوحة الدرفتين...

ما بين حصار الموت، وحصار الإذلال حتى اشتهاء الموت، سيظلّ فينا ألف عرقٍ حيّ.

...

وإن ألمّ بي ضعفٌ أعصب قلبي بصبر النساء على المحن.

أعصبه بقامات نساء سوريا التي ما انحنت من ثكلٍ ومن فقرٍ ومن تهجير. هبّت من مآدب الموت ترعى طقوس الحياة تتحضّر لزحف الشتاء قبل أن يفرد مآدبه، تجمع حُزم الحطب الثقيل عوداً فوق آخر من البراري الوعرة. لم تقطع شجرة، ولم تسرق بيتاً، ولم تسلم أرواحها للتعب، ولم تطلب الأعطيات من أحد، ولم ترمِ أحمالها ولم تتوقف في نصف الطريق.

أعصبه بعزم الفتى الذي ضربوه بالعصا الكهربائية على كليته الوحيدة، وبال دماً، وعاد وخرج في المظاهرة التالية.

أعصبه بثبات خطو الطفل على ثلوج المخيم بفردة الحذاء الصغيرة الزرقاء، والفردة الكبيرة السوداء المفتوحة الأصابع يسرح ويغني للفراشات السارحة في سماء مشمسةٍ لا يراها سواه.

أعصبه بجذور الشجر الذي جمّده صقيع كانون وأقسم أن سيورق في آذار أو نيسان.

أعصبه بصوت العقل الذي لم يطله الخراب، بأوردة لم ينسفح دمها الحارّ بعد على طهر التراب المدلّل.

أعصبه بودائع الشهداء وضمائر الأحياء، وصورة الوطن الحلو في عيون الفقراء.

أعصبه بذلك النداء الأول: «الموت ولا المذلّة...»

براميل متفجرة وليست أوانٍ للطبخ المنزلي..!

استخدام البراميل المتفجرة من قبل قوات النظام منذ اندلاع الثورة السورية حسب الشبكة السورية لحقوق الإنسان أكثر من ٥١٥٠ قنبلة برميلية أسفرت عن مقتل لا يقل عن ١٢١٩٣ شهيداً، ٩٦٪ من المدنيين، وما يقارب ٥٠ ٪ من الضحايا هم من النساء والأطفال.

أصدر مجلس الأمن الدولي القرار رقم ٢١٣٩ بتاريخ ٢٢ شباط ٢٠١٤ الذي أدان فيه استخدام القنابل البرميلية توزعت النسب ما قبل صدور قرار مجلس الأمن وما بعده كالتالي:

قبل صدور قرار مجلس الأمن الدولي: أكثر من ٣٢٠٠ برميل أدى إلى مقتل ما لا يقل عن ٥٧١٤ شخصاً ٩٧٪ ضحايا مدنيون، ٣٪ مسلحون، ٢١٪ من الضحايا هم من النساء والأطفال تتوزع أرقام الضحايا: ٥٥٤٣ رجلاً، ١٧١ مسلحاً، ٧٧٩ امرأة، ٣٤٧ طفلاً.

بعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي: أكثر من ١٩٥٠ برميلاً أسفرت عن مقتل ما لا يقل عن ٦٤٧٩ شخصاً ٩٥٪ من المدنيين، ٥٪ من المسلحين، ٥٠ ٪ من الضحايا نساء وأطفال.

تتوزع أرقام الضحايا: ٦١٧٧ من الرجال، ٣٠٢ من المسلحين، ١٧٢٠ من النساء، ١٨٩٢ من الأطفال.

وبعد المقابلة الصحفية التي أجراها الصحفي البريطاني مع بشار الأسد، والتي سخر من خلالها بالعالم واستخف بعقول مشاهديه، حيث قال: عن أية أدوات للطبخ المنزلي تتحدث، وفيها أنكر الأسد استخدام طيرانه المجرم قصف مناطق المدنيين بالبراميل المتفجرة، والتي كانت تسقط على رؤوسهم في أرجاء سورية كافة.

ولا يزال إلى يومنا هذا يتعرض الشعب السوري لقصف طيران النظام بالبراميل المتفجرة في كافة أرجاء سوريا.

السنة الأولى / العدد الثاني عشر / 15 آذار 2015
الحرمل

قصيدة حلمنتيشية

عبد الرحمن الإبراهيم

ثوريٌّ يعشق معشوقةْ   فيصيرُ بعشق المخلوقةْ
من أهل الله وما لهمُ   في النّاس مزايا مرموقة
التقوى مركبه الأقوى   أيْ ذَقْنٌ جدّاً مطلوقة
وسواكٌ بعض منافعه   سَنُّ الأسنان المفروقة
ومن الفجّار مسدَّسُه   ومن الأبرار البشنوقة!
ومن الياباني تكستُه   لو تعرف كم يهوى النوقا
ومن الألماني قبضتُه   ومن الأفغاني الخلّوقة!
ولوجه الله يشيلُ لنا   في الكرتونات المخزوقة
ماءً للقمل بصحبته   قنينةُ زيتٍ تَلْحيقة
نتغابا حين يُلَحوِّسنا   بالبسكوتات المدبوقة!
وبكيلو أرزٍ علفيٍّ   نرجو للشهم التوفيقا!
ويحابي بالشاي امرأةً   ومواد غسيلٍ مسحوقة
ويصوّرُ أخرى شاكرةً   إذْ بلّتْ بالتّمر الريقا
ويصوّرُ بطانياتٍ   تحت الخيماتِ المشقوقة
فيؤكّدُ حُسن أمانته   رغم الخيرات المغدوقة
ويُطمئنُ قلبَ مموّله   بالصورة يُجري التوثيقا
بقضاء الله يقايضنا   والحكمةُ تفتحُ السوقا
وسيأخذُ – إنْ فتّش عبداً -   من بين يديه المشدوقة»
فنعودُ ببطنٍ فارغةٍ   ويعودُ ببطنٍ مزقوقة
وأساءَ بحبِّ الهامبركرْ   لقرينته المعيبيقة
يتوضَّا الصبْحَ كعادته   بدماء شهيدٍ مهروقة
والظهرَ بطيبِ سذاجتنا   والعصرَ بدمع المعشوقة
ويُغطي سبعَ سماواتٍ   بعباءةِ قَزْمٍ مفتوقة!
لسَعته الشمسُ فهدّدها   لتغيبَ بتهمةِ زنديقة!
ربّاهُ ربيبُ ممانعةٍ   فتعلّمَ منه الفيزيقا
ليشرّقَ فينا تغريباً   ويغرّبَ فينا تشريقا
يتقمّصُ نصّاً ثوريّاً   ويضيفُ إليه التشويقا
يتقحّمُ فجراً في دوما   ويرابطُ ليلاً.. في موقا
مطلوبٌ ينشىءُ محكمةً   يتولّى فيها التحقيقا!
فقضى – ولأنّ كتيبتَه   بعدوّ الثورة مخروقة
قَلْعَ العينين لمن ثبتَتْ   فيه الأخبار الموثوقة
والأعجبُ، ما قُلِعَتْ عينٌ   إلا وازدادتْ تحديقا!
وأيادي لصوصٍ قدْ قُطعتْ   فبأيّ أيادي حربوقة
تتكدّسُ أغراضٌ ثكلى   في السوق تعيشُ التسويقا؟!
بسطاتُ الثورة عامرةٌ   بقلوب بيوتٍ مصعوقة
سجّادٌ.. تختٌ.. برادٌ   كاساتٌ.. صحنٌ.. خاشوقة
أفرانٌ.. تلفزيوناتٌ   أبوابٌ كانت مغلوقة
وهدايا عرسٍ قد نُكبتْ   تبكي بدموعٍ مخنوقة
وثيابٌ ما زالتْ فيها   أنفاسُ النّاس المسروقة
أحلامُ النّاس وذاكرةٌ   ضاعتْ كالضّرطة في الجوقة
البكّجي أصبح مختاراً   واستملكَ باسم المخلوقة
جناتٍ وعيوناً تجري   وقدودَ الحور المشوقة
والقصرُ تقولُ مداخله: ولّتْ أيامَ الزابوقة
بِلِوَاء الحقّ له حقٌّ   وكتائبِ حزمِ الملحوقة
يتغدّى الفيلقَ مرتاحاً   ولواءَ الأمّة ترويقة
أحرارُ الشام فواكهه   وصقورُ الشام.. المعجوقة
ويضحّي الدولةَ في الأضحى   وتصيرُ الجبهةُ تعقيقة
وتأمّرَ، ليس كما الأسدِ   بل بُويعَ من موزمبيقا
وإليه الشكرُ.. أعادَ لنا   نُطقَ الآياتِ المنطوقة
ببحور الدّين يفقّهنا   فيدّقُ الماءَ المدقوقا
ولحفظ الدّين يُطَمِّشها   حتى تغريكَ الجربوقة
ولوجه الله يعلّمنا   سلْقَ البيضاتِ المسلوقة
وأتمَّ بحرق سجائرنا   حرْقَ الأنفاس المحروقة
فتوحّدَ غزواً ونضالاً   واجتاح المجلسَ معجوقا
واسترجعَ كلَّ حواجزه   بالدولاراتِ المدفوقة
طعْمُ اسطنبولٍ أجّجه   فاحتلّ معاقلَ فينيقا
وغنائمَ جيشٍ أسديٍّ   شُقَقَاً لمزاج التطبيقة
في هذي يدرس معركةً   وبتلكَ يُنجّرُ خازوقا
والبحرُ يهدهد ثالثةً   لينامَ بحضن المسفوقة
أغَوَاتُ الثورة يكفيكم   ما فقعتْ منه الطقطوقة
رقّصْتُم كسرى مطروباً   بمعازف تلك الموسيقى
فبها سيعودُ ليركبَنا   ونعودُ إماءً ورقيقا
عمّمتُ كمضمر تخصيصٍ   ليفيقَ المَعْني ليفيقا
وليسلمَ من مقتِ المولى   ويُصدِّق بالفعل البوقا

يا أشراف روما استردوا شرفكم المهان!

شريف صالح

يولد الديكتاتور وعلى شفتيه ابتسامة بريئة كأي طفل عادي.. ولكن الديكتاتور كائن طفيلي يعتاش على مساحة هائلة من الخوف.. ذلك الخوف الذي يأكل أرواحنا نحن.

كائن مصطنع، مختلق، في جسده الخرافي ألف كعب أخيل، قابل للعطب من أي منها.. في أي لحظة.

هو لا يصنع نفسه في حقيقة الأمر بل نحن من نصطنعه وننضخم فيه حتى تطابق صورته صورة إله. وكأي إله يحيي ويميت.. يقرر الثراء لقوم ويحكم بالفقر على آخرين. «لا يُسألُ عمَّا يَفعل وهُم يُسْألُون».

وكأي إله يعيش فوق القانون والدستور والشعب والدولة ذاتها، لكنه لا يملك عشبة الخلود.. فهو فانٍ بائس مثلما من صنعوه فانون بائسون. وتلك هي مفارقته التراجيدية التي قد تجعله أشد قسوة من الشياطين.

وما بين ولادته وفنائه المحتوم تأخذ صناعة الديكتاتور مسارين: مسار صعود ومسار هبوط. فأثناء صعوده يستمتع بارتجاف من يبول في ثيابه أمامه.. ويبتسم لمن ينحني أمامه حتى يلمس بأنفه مؤخرته.. ويطرب لمن يسبح بحمده آناء الليل وأطراف النهار.

وشيئاً فشيئاً ينضم آلاف المواطنين ـ خوفاً وطمعاً ـ لصناعة وعبادة الديكتاتور.. فمن يدبج الكتب والمقالات.. ومن يُسرّب اسمه إلى النشيد الوطني.. ومن يتنقل بين القنوات للحديث عن حكمته التي لا يأتيها الباطل من أمامها ولا من خلفها.. ومَن ومَن ومَن!

تتسع الجوقة وتتسع.. ويرقص في الحلبة خليط من شعراء وملحنين ومطربين وقوادين وسمسارة جغرافيا ومزيفي تاريخ ومجانين عظمة.. جميعهم يفنون أعمارهم ويستهلكون مواهبهم في الغناء لديكتاتور لا يراهم ولا يسمعهم..

تتسع جوقة النفاق بحجم الوطن.. بفضل رسامين ومصورين يلتقطون صور الديكتاتور من كل زوايا العظمة.. وزوايا التواضع إذا لزم الأمر.. فهو العظيم صاحب النياشين وشهادات الدكتوراه الفخرية وهو الأب الرحيم الذي يحنو على اليتيم ويجلس على البساط الأحمدي.

هو من يلوح من سيارته الفارهة لعمال لا عمل لهم إلا زرع صورته فوق كل عمود إنارة، وناصية كل شارع، وكل جدار حتى لو كان في دورة مياه عمومية.

هو إن لم يكن يرانا فإن صوره ترانا وتراقبنا في كل مكان. الوطن كله يرزح تحت عيني الديكتاتور وآلاف الآذان المتصلة بأذنيه. عيون وآذان تنقل له حتى ما يختلج داخل أرواحنا.. وأجهزة سرية ودبابات وصواريخ وطائرات، مخصصة كلها لحراسته، حتى لو كان الوطن نفسه مستباحاً!

يكفي الوطن فخراً أنه مغطى بصور الزعيم وتماثيله وبلاغته البليدة. آلاف الأطنان من الكلام والأوراق والأحبار والقماش والأوسمة والنياشين والمؤتمرات.. كلها من أجل أن يصعد فوقها الديكتاتور بحذائه.. يصعد عامًا بعد عام.. لتطويبه إلهاً لا أقل.. ليصبح أعظم ما في الوطن من تراث وآثار ونوابغ.. دون حذائه.

وهكذا تكتمل أسطورة صنعناها نحن.. بإرادتنا أو غصباً عنا.. أسطورة أفنينا أعمارنا ومواهبنا وثرواتنا من أجل تثبيتها.. ثم نعطيها اسمًا فيكون من يكون..

لكنه في الأخير يموت ميتة شريرة أو ميتة هزلية.. وكأن كل نفاقنا له أقل من أن يمنحه صك الخلود.

مات الديكتاتور وأصبح بإمكان أي كلب ضال أن يبول على قبره. مات من أمات وأحيا. لنستعيد ـ ولو للحظات ـ ذلك الاكتشاف المذهل بأنه لم يكن أكثر من شخص عادي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

لقد كان إذاً إلهاً مزيفاً. ليس فقط بالمعنى الأخلاقي، بل بكل المعاني المحتملة للزيف، فتأليهه لا ينتج معرفة ولا يحمي دولة. في لمح البصر اختفى أثره، ومحى خلفه علامات وجوده، وكأن كل هذه الأجيال أنفقت أعمارها في لعبة مزيفة لا قيمة لها. لعبة انتهت بانتهاء صاحبها مثل أي ممثل يقف على خشبة المسرح فيتقمص ما يشاء من زعماء وملوك وحينما تنطفئ الإضاءة يعود إلى بيته وحيداً بائساً.

وحين يموت الديكتاتور ـ كأي إنسان عادي يموت ـ نأكل تماثيله.. أو نلطمها بأحذيتنا القديمة.. نخفي كتبه وأوراقه وصحفه وصوره ونياشينه، ونمحو أسماءه التي أطلقها على عشرات المباني.. نعيد اختزاله إلى بضع أسطر في كتاب التاريخ! ثم نشعر بفراغ هائل داخل مساحة الخوف التي تركها في أرواحنا، فنعيد اخترع ديكتاتور آخر بالأكاذيب ذاتها.

ونظل نعاود الكرة ونسلم مفاتيح عبوديتنا جيلاً وراء جيل. ولا نعرف كيف نتوقف أبداً عن أن نكون مسمساراً صغيراً في تلك الآلة الجهنمية لخلق أصنام ننفخ فيها بكل رعبنا! كيف نتحرر من خوفنا وطمعنا؟ كيف نعيش أحراراً لا عبيداً لوهم فرد.. ووهم أنفسنا؟!

تفني أعمارنا وأعمار أولادنا، وتضيع أوطاننا.. في أكبر صناعة تاريخية للوهم.. صناعة باهظة التكاليف لا نجني من ورائها إلا الخراب المحقق. فقد يطول تصعيد الديكتاتور من سنة إلى أربعين وخمسين سنة.. لكنه في النهاية مآله إلى الحضيض والخزي.. ولعل تاريخ الطغاة الموثق يبدأ سطره الأول بـ»كاليغولا» الشاب الذي أصبح إمبراطوراً في سن الخامسة والعشرين وفي خلال خمس سنوات فقط حول روما إلى جحيم.. فكان يعتبر روما هي كاليغولا.. وكاليغولا هو روما.. وأنه «إله على الأرض».. وجعله جبن حاشيته وهتافهم له أكثر قسوة وجنوناً. فمن مأثوراته الخالدة: «أنا إذا لم أقتل أشعر أنني وحيد».

كما عيّن حصانه عضواً في مجلس الشيوخ، فهلل المنافقون لقراره الحكيم ورحبوا بزميلهم الجديد من ذوي الأربع! وبعدها دعا الأعضاء على مأدبة من «التبن والشعير» نكاية بهم! فهللوا له بأفواه مملوءة بالتبن! إلى أن ثار «براكوس» وصاح في أعضاء مجلس الشيوخ: إلى متى يا أشراف روما نظل خاضعين لجبروت كاليغولا؟! يا أشراف روما افعلوا مثلي واستردوا شرفكم المهان»، فانتهوا إلى قتل الطاغية.

لكن روما كانت موعودة بولادة طاغية آخر أشد فتكًا.. موعودة بالمغرمين بوضع التبن في أفواههم.. فبعد سنوات قليلة جاء نيرون وحكم اثنتي عشرة سنة، فقتل المئات منهم. أمه التي أجلسته على العرش.. فرد جميلها بقتلها وحرق جثتها! ثم أعدم زوجته بناء على وشاية عشيقته! ثم قتل العشيقة نفسها وقائد الجيش المقرب منه، ومعلمه الذي رباه وأدبه، ثم دخل في نوبة قتل الأصدقاء والأقارب، وانتهى إلى حرق روما كلها كي يستمتع بغناء أشعار هوميروس أمام منظر النيران الخلاب!

وكأن البشر لا يتعلمون من تجاربهم، فلم تسلم روما الحديثة من ديكتاتور جديد هو موسوليني ابن الحداد الذي أرعب العالم، رغم أنه بدأ حياته معارضاً للحرب، لكنه سرعان ما خدع الإيطاليين الفقراء بشعاراته القومية البراقة واستولى على الحكم بتأييد شعبي للأسف، ليؤسس حلفاً فولاذياً مع هتلر، ويشعل حرباً عالمية أودت بحياة ما يزيد عن ستين مليون إنسان، وانتهت بإيطاليا بلداً على حافة الهاوية والفقر، وجيش مهزوم، ليشنق في النهاية مقلوب الرجلين في محطة بنزين.. بعد خراب روما!

نفس المعادلة تكرر نفسها في أكثر من بلد عربي، ففي العراق، قديماً، انشغل الخليفة المستعصم بجواريه وذهبه، وترك شئون الحكم لوزيره ابن العلقمي الذي باعه بدوره لهولاكو بل وأخبره أنه لو استسلم سوف يُبقي عليه هولاكو في الحكم. وذهب خليفة المسلمين خانعاً ذليلاً يستعطف المحتل الذي حطم الجسور والأسوار وألقى بملايين الكتب في نهر دجلة. وبعد أن انتهى هولاكو من تدمير حضارة كاملة وقتل مئات الآلاف إلى درجة أن رائحة الجثث في بغداد شمها سكان دمشق، تفرغ للخليفة فأخذ منه صناديق ذهبه وجواريه وعامله معاملة سيئة فحرّم عليه الطعام، فلما أحس الخليفة بالجوع وطلب طعاماً، قدم إليه هولاكو بنفسه حاملاً له طبقاً مملوءاً بالذهب وأمره أن يأكل، فقال الخليفة: كيف يمكن أكل الذهب؟ فرد عليه هولاكو: إذا كنت تعرف أن الذهب لا يؤكل، فلماذا احتفظت به ولم توزعه على جنودك كي يصونوا ملكك الموروث من هجمات جيشي؟ ولمَ لم تحول تلك الأبواب الحديدية في قصورك إلى سهام؟

فأجاب الخليفة: هكذا كان تقدير الله! فقال هولاكو: وما سوف يجري عليك إنما هو كذلك تقدير من الله.. ثم تركه أربعة أيام دون طعام إلى أن مات جوعاً وعطشاً، ثم لُفّ جثمانه ببساط وسُحق تحت حوافر الخيل.

نهاية بائسة تليق بإله مزيف! ولا تختلف عنها كثيراً نهاية ديكتاتور بغداد في العصر الحديث صدام حسين الذي عثر عليه في حفرة، وتم إعدامه، بعد أن كبد العراق في حروب متواصلة بلايين الدولارات كانت تكفي الوطن العربي كله لمائة عام قادم!

عشرات النماذج المحفورة في كتب التاريخ، تكاد تكرر نفسها بالآلية ذاتها. قد يبدو نسق الصعود بسيطاً لا يكلف أكثر من تعديل مادة في الدستور.. أو أغنية تمجد الديكتاتور والوطن معاً.. أو «مانشيت» موحد في جميع الصحف يتغنى بحكمته.. أو بضع ملايين من الدولارات لتزيين الميادين بصوره.

أما نسق الهبوط المروع فيكلف الشعوب مصيرها ومستقبلها وملايين الضحايا.. ويجعل فكرة الوطن ذاتها في مهب الريح. فالتكلفة المرعبة ليست في صناعة الديكتاتور بل في إقناعه أنه ليس إلهاً.

وكل لحظة تمر لا يستجيب فيها الشعب لصرخة براكوس: «يا أشراف روما استردوا شرفكم المهان!».. تعني سقوط آلاف الضحايا وانهيار مدن. محو بلد كامل في لعبة مزيفة لا يصدقها إلا معتوه واحد!

الثورة.. ووصاياها العشر

معبد الحسون

يجبُ القولُ ابتداءً إننا، كسوريين، نشهدُ اليومَ سبعةَ احتلالاتٍ لوطننا السوري: الاحتلال الإيراني بقواه العسكرية وميليشياته، ثم النظام، وداعش، وجبهة النصرة، وأحرار الشام، وجيش الإسلام، وبعض الميليشيات والفصائل الكردية الخارجة عن إرادة ورؤية الثورة السورية، والعاملة لمشروعها الخاص.. وإذا أضفنا إلى هؤلاء قوة ثامنة غير مرئية، وليست مشاهدة بوصفها فصيلاً عسكرياً ذا سطوةٍ وقواتٍ ممسكة بجزء من قرار الوطن ومصيره، ألا وهي مؤسسات الفساد وتجار السياسة، ومنظومات التكسب والتعيّش على هوامش الثورة ومؤسساتها وزواياها المعلومة والمجهولة، والتي أخذت مواقعها وتجذرت في أَمَدٍ مبكرٍ، واستطاعت أن تتشابك مع القوى الإقليمية والعالمية بوصفها ممثلاً وذراعاً وناطقاً وداعماً.. فهي الواجهة السياسية التي أصبحت غولاً مفزعاً وهُولَةً مرعبة، مستفيدة من تأجيل انتصار الثورة كحالة متعيشة على بقاء الثورة المضادة ورسوخ قواها وتمدد أنشطتها.. مع النأي بنفسها عن الناس ومآسيهم، وعن كل ما يحدثُ على الأرض من كوارث، بل مكتفية بالجلوس في شتى عواصم وفنادق الدول لتنوب عن الشعب السوري في التحدث عنه وباسمه، وعما يريده وما يناسبه، والمفاوضة والمقاولة في كل ملفات الوطن بحسبانها أنها هي الثورة والثوار.. وأنها هي الشعب أو من يمكن أن يُمَثِّل الشعب السوري..

إذا أضفنا هذه الطغمةَ الفاسدةَ، بوصفها قوة ناعمة، وفصيل سطو غير مسلح، مدجج بعلاقاته التي أصبحت تاريخية مع القوى العالمية والإقليمية، ذات الشأن والقرار، والقول الفصل في كل ما يتعلق بالشأن السوري، فإن قوى الاحتلال الثماني هذه يجمعُها جميعاً جامعٌ واحد، وقاسمٌ مشتركٌ أعظم واحد، وهي أنها، وبالمطلق: لن تعطيَ الشعبَ السوريَ حريتَه، ولن تسمح له أن يقرر مصيره بنفسه ما لم ينتزع هذه الحرية من جميع هذه القوى عبر تضحياتٍ وخوض كفاح مريرٍ ينتهي إلى واحد من خيارين لا ثالث لهما: إما أن ينتصر الشعب السوري عليها جميعاً، وإما أن تنتصر هي ـ أو بعضها ـ على بعضها الآخر، وعلى الشعب السوري بمجموعه، وتعيده إلى حظيرة سجنٍ واستبداد جديد، ومدجنةٍ تعيد إنتاج التسلط والدكتاتورية وحكم الفرد أو العائلة أو الطائفة أو الميليشيا، أو شتى النخب الدينية والدنيوية المتسلطة.. نحن هنا أمام كارثة وطن غير مسبوقة في التاريخ بحق.. كارثة لم يعد السوريون في أول حصاد نتائجها المباشرة بقادرين على العيش أو التصرف في وطنهم، أو تقرير أو تحقيق أي استقرار في بلدهم، لا على مستوى الأفراد ولا الجماعات.

من خبرتي المباشرة التي تجمعت منذ الانطلاقة الأولى للثورة، أستطيع أن أثبت بوثوقٍ شديد، أننا نحتاج، نحن السوريين، إلى مشروع سياسي لا يستبعد حربَ تحريرٍ شاملةً، شاقة ومريرة وطويلة الأمد، لاستعادة وطننا وإرادتنا الوطنية.. ليست الثورة موسى، ولا تملك وصايا عشراً سحرية، أو ألواحاً جامعةً ومانعةً.. بيد أنني أتوخى من هذه الملاحظات أن أسجل على هوامش السنوات الأربع العجاف التي مضت، وفوق النافل والمستكثر مما قيل أو يمكن أن يقال حول انطلاقة عمل الثورة في لبوسها الجديد، وهو لا غروَ حاصل ومتحقق في قادمات الأيام، وتجنبه بات غير ممكن احتكاماً إلى منطق الأشياء وقوانين حركة المجتمع والتاريخ..

المبدأ العام الذي يحكم كلَّ انتقالٍ تاريخي كبير يلتزم دائماً بأن هناك لكل فعل إنساني كبير خطةً عمل وغايةَ.. تتفق فيما بينها على أن تتقارب في القوة والحجم والمصلحة المتجاذَبة بين العمل وغاياته.. الأمر الذي يكفل، وبآلياتٍ مفهومة ومدروسة، إسقاط الزيادات وكلَّ ما هو خارج عن السياق العام للمصلحة الوطنية عن أي مصلحة أخرى ملتبسة الأهداف، وغائمة الغايات.. فهل اتفقت هذه السياقات في الثورة السورية على أن تتواشج وتتقارب؟

لا شك أن الثورة هي ملك الثوار العاملين عليها، وحافري أهدافها وغاياتها بأظفارهم، حتى وإن يكن الحفر في الصخور الصلدة، ولا شك أن هنالك جمهوراً كبيراً من المتفرجين على الثورة والمشجعين والمتحمسين.. لم يجتازوا حاجز الحماسة والعواطف وأصداء الحناجر، والحال تشبيهاً لا يختلف عن لاعبين في الملعب وجمهورهم المشجع المتحمس، الصارخ بكل ما في قلبه من نبل عاطفة ودفع نفسي نحو انتزاع النصر.. وبغض النظر عن كرامة وقدر ومكانة كل طرف من اللاعبين والمشجعين الذين هم الحاضنة والتعبئة الشعبية وأمل الدعم الإنساني الذي يشكل صرخة الجمهور الكبرى.. إلا أنَّ ما حدث واقعياً خلال الأربعة أعوام الماضية سجل نزولاً جماعياً غير متوقع وغير مسبوق في تاريخ الثورات التي عرفها تاريخ البشرية.. نزولاً من على مدرجات المسرح واختلاطاً عاماً.. علا فيه الشَذرُ على المَذر، واختص فيه ـ صوتاً وإرادة وتأثيراً في الشأن العام والقرار والفعل العام للثورة ـ الحابل قبل النابل، والنابل قبل العطال والبطال والعاطل.. فأصبح المشهد وكأن الثورة والمشهد الثوري والفعل الثوري هي ملكٌ لمن لا يملك، وتصرفٌ وقرار لا بيد الثوار، بل ربما بيد السابلة وعابري السبيل.. بل ولمن لا رغبة له أن يمتلكها إلا للاستعمال والتربح من خلالها وعَوْدِ إنتاج ظهوراته الخاملة، وفاعلية من لا فعل له.. فاتسعت ـ كسوق عكاظ ـ لينادي في نواديها كل منادٍ، وليتحدث باسمها ويدعيها كل من طفرت على نفسه شهوة الحديث، ودون أن يُلزِمَه احترامُ نفسه أن يُمَوّه (وهو عالم بأنه يُمَوّه) أن موقع الثائر غير موقع المتفرج، مع الترحيب به لو قرر حسمَ خياراته والانغماس في خضمها، دون أن يكتفي بدور المعلق الرياضي، وأن يُمثِل ويتمثّل فيها، لا أن يعلق فنياً من خارج المسرح.. وهو شيء من حقه ما دام يعتقد ويقر باكتفائه بدور المعلق، لا أن يدعي وصل ليلى وهو لم ير ليلى ولم يعرفها ولم تتعرف عليه حتى اللحظة..

ينبني على ما تقدم أن أي إستراتيجية مستقبلية للثورة تقوم على إرادة جاذبة للقوى الثورية الفاعلة والحية، وما الحاضنة الداعمة والمؤازرة إلا المستودع الخلفي الذي يجب أن يُعتمَد ويُوكَلَ إليه ضخَّ الدماء والكوادر الثورية المتسمة بوضوح الهدف ونقاء الرؤيا المستقبلية.. وحتى نتفق بدايةً، لا بد من التوكيد بأن الثورة هي في جانبها المعرفي انفجار واقع اجتماعي مترافق مع انفجار ما سلف من ذاكرة جماعية كبرى.. والذاكرة لا تعبأ دائماً بحشمة الأخلاق وجمالياتها العامة، وعواطف القلب لا تعبأ بهما كليهما: لا الذاكرة ولا جماليات الأخلاق.. وهي في جانبها العملي خط ومبدأ سياسي عام، تجمعه وتؤطره مجموعة مبادئ سياسية ضابطة ومحددة. والعمل العسكري على الأرض ما هو أكثر من امتداد للثورة بمضمونها السياسي. فالثورة إذن فكر سياسي وعمل سياسي، وليست شيئاً آخر يمكنها أن تُعَرَّفَ به في شقها العملياتي..

من هذا المبدأ يمكن التوكيد على أن «المنظمة المدنية» و«المنظمة الإعلامية» و«المنظمة الإغاثية» وغيرها من منظمات، بوصفها مؤسسات وظيفية وعملها إجرائي على الأرض ـ إما دعماً للثورة وإما دعماً لأعدائها ـ .. تعمل على دعم (سياسة ما)، أو تقف على تثبيطها والهجوم عليها.. فالمنظمات المدنية هي جزء من حواضن الثورة وجمهورها وليست هي الثورة، تعريفاً، ولا هي من عداد فاعليها.. الثورة هي مؤسسة سياسية لها خطة عمل واضحة وصارمة، ولها، وجوباً، قوى عسكرية نافذة أو هي تحاول أن تمسك الأرض والقرار وتتمسك بهما، وجمهورها الداعم هو كل تلك التفرعات التي خلصت لتشكل صوتاً إعلامياً أو وحدة دعم وإغاثة، أو شتى المنابر الأخرى والمتجاوبة الدفع مع الخط السياسي الواضح في وطنيته وآليات عمله، مع إقرارنا بأن أفدح أخطاء الماضي تمثلت بعدم استيعاب جمهور الثورة المهمش تمهيداً لإسقاط حمولتها الزائدة..

.. أسوق هذه البديهيات لأن هناك خلطاً وتوهماً بأن الأنشطة في المنظمات المدنية والإعلامية أو التعليق والكتابة على مواقع التواصل الاجتماعي هو محض الفعل الثوري السياسي المباشر.. ذلك أحياناً جزء من تيه الموقف، والفارق الحاسم بأن حقل العمل السياسي في الثورة ليس انحيازاً إلى (فريقي المفضل).. والذي لا يُكلفني ولا يطالبني إلا بالترويج والتسويق له..

أضف إلى ذلك أن كثرة التحدث دون التزام ببرنامج عمل، وفقدان المرجعية السياسية والأخلاقية الملزمة.. وعدم التفريق بين الشخص وفكرته أو موقفه، مع ما يُلزم ذلك من إفراطٍ في شخصنة القضايا: أي دمج الأفكار بالأشخاص، والتعامل معهما بفكرٍ وعاطفة موحدتين، باتت من السماجات المزمنة التي لم تعد المرحلة تحتملُها.. فإذا أضفنا أن معظم الناطقين باسم الثورة اليوم، إن كان على المستوى (النخبوي)، أو كان على المستوى (الشعبوي) إنما هم متحدثون بلا اختصاص يكفل لهم صدقية ما يتحدثون عنه، فإن أبرز أمراض الشخصنة هو ارتباط العمل الثوري، أو ما يبدو عملاً ثورياً في ظاهره، بحب الظهور والمجد الشخصي، والتطلع إلى التكسب المالي باسم الثورة، ودون أن أنهي الفكرة بالتذكير بأن (المال) و(النفوذ المستند إلى القوة) هما خطة الرحيل الأبدي لأمراء الحرب وكثير من قادة الكتائب والألوية نحو نهايات غير ثورية السمعة، أياً تكن هذه النهايات..

لا نشك بأن أوجب واجبات السوريين، لينسجموا مع ما تمليه عليهم خلفيتهم الأخلاقية، وليتمكنوا من تقديم قضيتهم للآخر في صورتها المثالية، تتركز في احترام الضعف الإنساني بمطلق ما تعنيه العبارة، والحاجة والظرف الشخصي للسوريين عامة، والبأساء الشديدة التي أُسلم إليها غالبيةُ السوريين، مما أحدث اختلاطات كثيرة في المواقف والأعمال والقرارات.. فالكثيرون تُركوا بلا موارد رزق، وأجبروا على التخلي عن وظائفهم ومصادر عيشهم اليتيمة والوحيدة، وكثيرون ألجأتهم الظروف إلى الهجرة إلى الغرب.. ولكن كل هذا لا يُسوِّغُ تحويل الضعف إلى حالة نواحية وانتقادية دائمة، أو حالة تبريرية دائمة.. كل ذلك يثبت بأن معطى التلذذ باحتقار الآخرين والاستهانة بهم، كنوع من نزعة فردانية عدوانية تحت حجج ومسميات المواقف السياسية المخالفة والمناوئة أصبح خُلُقاً إدمانياً فاشياً، وأصبح أصحابه ظاهرة اجتماعية فشت أخلاقها على الطابع العام المشاهد.

إن كلَّ فردٍ منا هو «تاريخه».. لا مفرَّ من الإقرار بذلك.. قبل أن يكون ثورياً هو ذلك (التاريخ الشخصي)، وبعد أن انحاز إلى الثورة وانخرط في صفوفها، هو أيضاً ذلك (التاريخ الشخصي).. فتاريخُه هو محصلةُ عطائه وهويته.. لا تَجُبُّ الثورةُ أقوالاً وأفعالاً، ولا تُزَكِّي أقوالاً وأفعالاً أخرى، وما على المرء إذا ما قرر أن يختم تاريخَه بالموقف المشرف من الوطن ومن الثورة ومن الحياة بالعموم، إلا أن يؤكدَ ذلك التاريخ الشخصي أو يُصحِّحَهُ، وليس وراء هذين الخيارين خيارٌ ثالث.

غريب الدار

ثورات وتساؤلات

عبد العظيم إسماعيل

(١)

لا زلنا نعيش في مرحلة انتفاضات وثورات في عدد من الدول العربية بعضها اشتعل، وبعض منها لا يزال يغلي، وبعض منها كجمر تحت الرماد، وكلها تريد أن تنهي عقوداً بغيضة وكريهة من القمع والاستبداد لحكام طغاة استعبدوا الحرث والنسل، وأداروا البلاد كما تُدار المزارع؛ استغلالاً ونهباً وسلباً بشتى الوسائل ومختلف الطرق والتسميات.

(٢)

والتساؤل، هل حقّقت هذه الثورات الآمال والمطامح التي من أجلها قُدّمت تضحيات جسيمة من مختلف شرائح المجتمع؟ والتساؤل الذي يثير الألم والحسرة، لماذا كل هذا التعنّت والتمسّك بالسلطة إذا كان الثمن دمار البلاد؟ ما فائدة الجلوس على كرسي مبني من جماجم العباد، والعزف على الجراح مع جوقة القتلة، وتدمير الحاضر ومحو الماضي، والجلوس كغراب ينعق على بقايا ما يسمى وطن؟

(٣)

وهذه الثورات لا تزال تثير التساؤلات، فمنها ما استُغلت دماء شهدائها ليمتطيها لاعبون وانتهازيون ويتخذونها سبيلاً لسدّة السلطة تحت مسميات وهويات وأيدلوجيات وأجندات، ويتنقلون فيما بينها حسب ما تقتضيه الظروف والمصلحة. ومن الثورات ما بدأت تأكل أبناءها، وتقضي على رموزها. ومما يبدو أن الثورات تعيش مرحلة تخبّط، وتبدو كالناقة العمياء، وقد تفشل في الوقت الحاضر على الأقل في إدارة شؤون بلادها وفق المفاهيم التي قدّمت من أجلها التضحيات. لكن لا يعني هذا أنها لم تحقّق بعض المنجزات من إزاحة بعض الطغاة وبعضها لا يزال في عين العاصفة، ومن المنجزات أيضاً الكشف عن الوجه البشع لبعض القوى والأحزاب وتعريتها، وخاصة وأنها كانت تدّعي في العهود السابقة بأنها تعرّضت للقهر والظلم والإقصاء. ويبدو أيضاً أن الثورات لا زالت في مرحلة المخاض، ولا يُعلم كم ستستمر هذه المرحلة، فالطريق لا تزال طويلة وشائكة، والرؤية غائمة، وليست واضحة المعالم، وإلى أن تتكشّف الرؤية كم ستحتاج الأرض من الدماء لتنبت ربيعاً أخضر!

(٤)

كما أن الصراع بين أبناء الثورة ليس جديداً أو مستحدثاً، فهذا ما حدث آنفاً في الثورة الفرنسية، ومن بعدها الثورة البلشفية والثورة الإيرانية.. وربما يصل الأمر إلى حرب أهلية إلى أن تستقر الأمور أو أن يقفز ثائر باسم الثورة، وليتحوّل بالتدريج فيما بعد إلى ديكتاتور. (وكأنك يا أبو زيد ما غزيت!)

(٥)

قيل: الثورة يخطّط لها المفكرون، ويقوم بها الشجعان، ويجني ثمارها الانتهازيون.

هنيئاً للثورة السورية

د. محمد حاج بكري

بعد أربع سنوات من عمر الثورة السورية المباركة حققت الثورة نصرها على نفسها عبر وعيها الذي كان معدوماً ومفقوداً، وبذلك استكملت شروط انتصارها على القمع والوحشية والبربرية، وأضحى تحقيق النصر مسألة وقت وخطط وتنظيم وصور القدرة على التضحية من أجل الوطن واضحة كل يوم لأن معالم الوعي لا تقتصر على الفهم في حد ذاته بل على رهن النفس لتحقيق الأهداف المنشودة. كل ما جرى من قتل وتدمير وتهجير وإسالة للدماء الطاهرة ليست إلا عنواناً براقاً لانتصار الشعب السوري على نفسه واكتسابه الحس الوطني الحقيقي على نطاق واسع ودليله معاناته التي لا توصف وشهداء معارك الحرية والكرامة، وما نحن فيه الآن من تقلبات وانتكاسات وانتصارات يعود سببه إلى التخطيط والتنظيم بسبب الحالة العفوية الناجمة عن عدم جمع الوعي في سلة واحدة وتوسع مساحة النخب الثورية لتحقيق الأهداف التي ثار الشعب من أجلها كونها لم تكتسب الخبرة السياسية، وهو وضع طبيعي لمرحلة شديدة الحساسية في المواجهة مع القوى الوحشية التي تمتلك أدوات القمع والقتل والدمار لأنها لم تستطع تحقيق النصر على الشعب.

نحن نعيش حالة جديدة من الوعي والإدراك لن تنتهي إلا بتحقيق النصر مهما كانت التضحيات التي قدمت، والتي سوف تقدم، ولن يستطيع الأسد وشبيحته وإيران مهما استخدموا من أدوات القمع إخماد الثورة أو إعادة إنتاج أنفسهم مرة أخرى في صور خادعة وكاذبة. وهم واهمون لأن درجة الوعي في الثورة في حال تطور دائم، ورؤيتها للمستقبل أكثر رسوخاً ويقيناً.

وإذا كان جزء قليل من الشعب لا يزال داعماً للدكتاتورية والتسلط ومتخوفاً من المستقبل فلأنهم لا يدركون بأن الشرط الأساسي لنجاح الثورة يكمن في غلبة الداعمين لها على الرافضين والمعادين لها بحكم المصالح وتزاوج رأس المال والسلطة أو الخداع الإعلامي أو الأبعاد النفسية المكونة للإنسان ومهما تم الترويج عن سلبيات ثورة الحرية فهي تستهدف إخفاء حقيقة أن المعركة قد حسمت وأن النصر قاب قوسين أو أدنى وهي دعايات تقدم شواهد على أن المعركة مستمرة وليس العكس.

إن تقديرنا هذا يتناقض مع ما يروج له من ثورة مضادة والقول بانتصار الثورات المضادة استناداً إلى أعمال القتل والتهجير والقمع والبراميل المتفجرة والطيران الحربي ليس إلا محاولة لإيصال رسالة عقلية بالاعتماد على التأثير النفسي، وعلى الخوف من المواجهة لإخفاء ما حدث من تغيير جوهري وجذري للشعب السوري وعلى كل فالمستقبل لا يكون حقيقة كلية إلا حين يتحقق النصر على الماضي.

حقيقة هناك بعض العقول في الائتلاف وهيئة التنسيق لا تزال تائهة ولا تستطيع الإمساك بجوهر الحقيقة بسبب هول الأحداث وما ينزف من دماء أو نتيجة العمالة المبطنة لأن الشعب إذا أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر فالأمر يحتاج وعياً ثاقباً مستقبلياً مليئاً بالعنفوان والوطنية والفهم لطبيعة الشعب السوري الذي أراد التغيير لأن كل شعوب الأرض لم تدرك قيمة ما حققته إلا بعد الانتصار النهائي وكل شعوب الدنيا وقفت في طوابير نصر صنعه المضحون بلا تردد فيما كانت أدوار الواقفين في طوابير النصر أقل شأناً. حسمت معركة الشعب السوري وعقول نخبه الحقيقية البعيدة عن الأضواء والائتلاف وهيئة التنسيق والأحزاب السياسية التي لم يسمع بها يوماً فقد كان شعبنا مغيباً لا يرى ضرورة بتقديم التضحية من أجل حريته وكرامته عاش ذلك لفترة طويلة وعندما هبت رياح درعا الأبية ولبتها فوراً اللاذقية معقل الأسد وانتشرت في كل سوريا حاملة الوعي صنعت التغيير وتكالب علينا الأعداء ليجعلوا من وعي الناس واستعدادهم للتضحيات مآسٍ حتى يعودوا إلى حظائر التدجين تحت مسميات الحل السياسي والاجتماعات والفنادق والابتسامات التلفزيونية وإدعاء السياسة والوطنية.

في ثورتنا لا عنوان للهزيمة ولا المساومة، بل عنوان لمستقبل تقدم كل التضحيات لأجل خدمته، وهو يقف في انتظارنا، وكل عناوين القتل والجنون التي يقوم بها هذا المعتوه وشبيحته ليست إلا تأكيداً على الإفلاس وعلى أن الشعب السوري لم ولن يخضع، ولن ينتصر الديكتاتور وإيران، ولا الثورة المضادة ومن والاهم.

الهزيمة النفسية؟!

أحمد الرمح

كل أمم الأرض هُزمت عبر تاريخها عسكرياً، ولكن الأمم الحية هي التي تبحث في أسباب وعوامل هزيمتها العسكرية؛ وتعمل على تجاوزها، حتى لا تتحول إلى هزيمة نفسية. فالهزيمة العسكرية يتم تجاوزها مع الزمن، ولكن الهزيمة النفسية تحتاج إلى أكثر من جيل لتجاوزها لكونها تؤثر على البنية العقلية والروح المعنوية للمجتمع؛ وتترك آثاراً نفسية ليس من السهل تجاوزها. لذلك عندما وجد موسى بني إسرائيل مهزومين من الداخل، هزيمة نفسية؛ خرج بهم إلى سيناء، ودخلوا في التيه حتى انتهى الجيل المهزوم نفسياً وجاء جيل جديد ملك العزيمة والإرادة والطموح... إذن: الهزيمة النفسية أخطر من الهزيمة العسكرية!.

لماذا هي أخطر:

إن التاريخ قد بين لنا أن الأمم التي هُزمت عسكرياً، ثم تولد عن الهزيمة العسكرية هزيمة نفسية ثم هزيمة ثقافية؛ ضاعت هويتها، ومُسخت شخصيتها وانتهت تاريخياً، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ ففارس الإمبراطورية العظيمة عندما انهزمت أمام دولة الإسلام عسكرياً؛ ثم ثقافياً، ضاعت هويتها، واستبدلتها بهوية الفاتحين الجدد، وقبلت ثقافة المنتصر وأيديولوجيته. أما التتار فرغم انتصارهم العسكري إلا أنهم هُزموا أمامنا ثقافياً، لأننا كنا أقوى منهم في هذا المجال. فهم وإن استعمروا إلا أنهم سرعان ما خرجوا من بلادنا يحملون ثقافة الإسلام وعقيدته؛ وهذا حدث تاريخي فريد.

ولكن:

هناك أمم كثيرة هزمت عسكرياً، ولكنها لم تصل إلى الهزيمة النفسية، فعادت من جديد لتقف على قدميها أقوى مما كانت. فاليابان هزمت عسكرياً؛ وضُربت بقنبلتين ذريتين، ولكن حكماءها تدارسوا أسباب الهزيمة، وبحثوا في الأسباب التي تجعلهم ينهضون من جديد، واللحاق في ركاب الدول المتطورة، ونجحوا في ذلك؛ وكان أهم عاملين في منع حصول الهزيمة النفسية لديهم؛ أنهم وضعوا برنامجاً للتعليم ينهض بالجيل الجديد؛ وآخر لإستراتيجية اقتصادية. وما هي إلا سنوات وإذا باليابان تعود إلى طليعة الدول المتطورة.

أما ألمانيا التي لحقت بها أخطر هزيمة عسكرية؛ بعد أن كانت من أعظم الدول؛ مرت بالمرحلة ذاتها التي مرت بها اليابان واهتمت بالتعليم؛ وأنشأت جيلاً ذا عقلية جديدة؛ اهتم بالتعليم، ووضع علماء الاقتصاد إستراتيجية جديدة وعلى رأسهم (جوزيف شاخت) حفظها من الوقوع في ثقافة الهزيمة، على الرغم من أن الحلفاء قسموها إلى بلدين، بإيديولوجيتين متناقضتين؛ إلا أن إيمان الشعب الألماني بخصوصيته، وقدرته على تجاوز الهزيمة؛ جعلته ينهض من جديد؛ ويقبر كل الهزائم السابقة التي لحقت به؛ ثم توحدوا من جديد.

ولقد كان رسولنا العظيم محمد حريصاً على هذا المبدأ؛ فبعد حصول الهزيمة العسكرية في أحد سرعان ما جمع المسلمين بعد عودتهم من (أحد) ولحق بالمشركين إلى (حمراء الأسد) ومنع حصول هزيمة نفسية؛ كما حرم المشركين من أن يستفيدوا سياسياً من نصرهم في (أحد) وكانت تلك الهزيمة درساً وحافزاً لمجتمع الرسالة حتى لا يقع في هزيمة أخرى.

إذاً: نحتاج ونحن نعيش عصر الهزائم المتلاحقة، وتعثراً ثورياً خطيراً، ومأساة لم تمر بها سورية في تاريخها المعاصر؛ أن نحذر من الوقوع في دوامة الهزيمة النفسية، وعلينا ـ حتى نتقي ذلك ـ أن نفهم ديننا فهماً صحيحاً، يختلف عن الفهم الموجود اليوم في أذهاننا، وأن نعود إلى مقاصده الأساسية، التي تجعل العالم ينفتح علينا ولا يخاف منا، إذ لولا هذا الدين الذي حمى الأمة قروناً رغم الهزائم الكثيرة لكانت هذه الأمة أثراً بعد عين.

إن تحويل هذا الدين العظيم إلى مشروع سياسي؛ لإلغاء الآخر وتكفيره واستئصاله؛ حتى يقول خصومه: يا لوحشية دينكم...؟!. إساءة إستراتيجية لدين الحكمة والرحمة والخلق الحسن!. دون البحث والدراسة التحليلية لأسباب انهيار الأمم السابقة التي تحدث عنها القرآن الكريم؛ واستخلاص من ذلك مقدمات انتصار المجتمعات والعمل على تحقيقها في الواقع؛ والحذر من أسباب انهيار وانحطاط المجتمعات، سيجرنا إلى هزيمة يعد الخروج منها أمراً صعباً للغاية.

ما نحتاجه، حتى لا ننهزم تجديد، في البنية الثقافية للخروج بالمجتمع من قابلية الهزيمة إلى إرادة الانتصار الحضاري. والاهتمام بالتربية المترافقة بالعلوم المعاصرة لإيجاد جيل يؤمن بالقدرة على تحقيق قفزة حضارية ونهضة علمية. وإحياء مفهوم المقاومة الوطنية بكل أشكالها، أمام حالة طغيان الاستبداد الذي يريد هزيمة المجتمع نفسياً بعد أن دمره وعاث فيها خراباً. ووضع إستراتيجية متكاملة لبناء جيل جديد على أسس علمية ومعرفية وثقافية.

إن من يعتقد أن صراعنا مع الاستبداد عسكري فقط؛ فهو واهم؟ وإن الاستبداد يعمل على هزيمتنا نفسياً، ويعد ذلك أكثر أهمية من النصر العسكري؟.

لقد تحمل المجتمع العربي بثقافته الإسلامية في صدر تاريخه أخطاء وخطايا، واستطاع التغلب عليها، والنجاة من غوائلها لكنه اليوم تتجمع في ربوعه بقايا شتى من انحرافات مضت....

ويجب أن لا ننسى أن الأمة التي تنهزم نفسياً سيكون من السهل جداً هزيمتها عسكرياً واقتصادياً وسياسياً.

إن مفهوم إحياء إرادة النصر وعدم الاستسلام؛ الخطوة الأولى باتجاه النصر ذاته؛ وإيمانك بعدالة قضيتك؛ يحميك من الوقوع في مستنقع الهزيمة النفسية؛ ليجعلك أكثر وعياً؛ فتعرف طريق الانتصار؛ لتسلكه؛ وطريق الهزيمة لتتجنبه.

لماذا ثار السوريون؟

أحمد محمد نور العُجيلي

كثيرةٌ تلك الأسئلة التي تقضّ مضجع السوريين طيلة سنواتٍ أربع مرّت على مأساتهم الكبرى. وكثيرةٌ تلك الإجابات التي يبحثون عنها، وتقضّ مضجعهم أثناء كلّ ليلة بردٍ في خيمةٍ يقضونها، أو منزلٍ متهالك ينتظر أزيز الطائرات فحسب كي يتوارى كلياً عن الوجود. لماذا؟!

لماذا انتفض السوريون منذ ما يقارب سنواتٍ أربع؟! وهل كان من الممكن تجنيبهم كل تلك الويلات التي حاقت بهم، وبأجيالٍ قادمة؟! هل يستحق السوريون ما جرى لهم؟! هل اقترفوا ذاك الذنب الذي توعّد به الله قوم عاد وثمود فأرسل عليها ريحاً صرصراً لم تبق ولم تذر؟! أم تراهم حطموا أصنام «عازر» فأمر نمرود بحرقهم عن بكرة أبيهم؟!

أم إنهم تحولوا فجأةً وفي لمح البصر إلى مرتزقة وشحاذين وعملاء «للبترودولار» فباعوا بلادهم وركنوا للخيانة رغم كلّ ما جرّته عليهم خيانتهم؟! هل حقاً لم يقبل أهالي أطفال درعا اعتذار رئيسهم المبجل، ومعاقبته لقاتل أطفالهم ومغتصب نسائهم؟! وهل فعلاً كان أهالي حمص وإدلب والغوطة والرقة ودير الزور مجرد خونة اندسوا بين ثنايا الشعب السوري الجميل، وراحوا يبثون الفتن كي يدمروا الجزء «المفيد» من سورية؟!

في إحدى المقابلات التلفزيونية لرئيس الوزراء الفرنسي «الأسبق» (دومينيك دوفيلبان) يصف الرئيس الذي يجب أن يحكم أي شعب بأنه: (ليس هو الرئيس الذي يُخيف، بل هو الرئيس الذي يخاف). ربما نختلف قليلاً مع دولة رئيس الوزراء في استعمال الأفعال لا أكثر؛ ففي فرنسا يستعملون الفعل (خاف_ يخاف)، بينما لا نختلف عنهم في سورية كثيراً سوى أننا نستعمل الصيغة الرباعية من الفعل فنقول: (أخاف_ يُخيف).

نعم، الاختلاف ليس كبيراً. فرئيسهم يخاف أن يحبط آمال شعبه الذي انتخبه، يخاف الفشل، وهول المسؤولية. بينما في سورية، فالرئيس هو من يُخيف، هو من لا يجرؤ أحدٌ على ذكر اسمه دون ما يلحقه من صفاتٍ وأسماءٍ حسنى تبرز امتنان القائل لسيادة الرئيس بتكرمه على السوريين وموافقته على أن يحكمهم، على نهج سلفه الخالد.

اليوم، وبعد مرور أربع سنوات على ثورة السوريين لم يبق أمامهم سوى مواصلة طريق الكفاح إلى نهايته. فمن لم يتورع عن تكسير أصابع أطفال درعا في بداية الثورة، ومن لم يجد حرجاً في تهجير أهالي حمص والغوطة، ومن قام بفتح أبواب دولته لمرتزقة العالم يعيثون فيها فساداً وتدميراً؛ من قام بكل ذلك لن يتوانى عن تدمير ما تبقى من الشعب السوري، ولن يفهم سوى لغة النار. تلك اللغة التي بدأها جيشه العرمرم «الباسل»، والتي ستحرقه يوماً كما أحرقت قبله طغاةً كثر مرّوا على هذه الأرض.

يُحكى أنّ أبا الأسود الدؤلي كان يطوف يوماً بالكعبة وخلفه زوجته، وكانت كلما أتمت شوطاً يعرض لها الشاعر عمر بن أبي ربيعة، فحدث أن أخبرت زوجها بما يقوم به ذاك المتطفل؛ واحتراماً لقُدسيّة موقفهما حول الكعبة عاتبه أبو الأسود وطلب منه ألا يعيد فعلته تلك؛ إلا أنّ الشاعر المتطفل لم يمتثل لرغبة أبي الأسود، فأعاد الكرة مرّة أخرى، وراح يتحرّش بالمرأة كلّما مرت بجانبه، وحين لم يجد بداً من ذلك، قام أبو الأسود الدؤلي بالطواف ممتشقاً سيفه، فما كان من الشاعر إلا أن ابتعد عنهما، وفرّ خوفاً من غضب زوجها. فقال أبو الأسود:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الحامي

عطفاً على ما سبق، فالسوريون لم يقوموا بثورتهم رغبة في القتل، أو إصراراً منهم على تدمير بلادهم، فقد حاولوا وبكل الطرق السلمية تجنُّب تلك المحرقة الكبرى، إلا أنهم لم يجدوا بصيص أملٍ عند قاتل مجرم لم يتورع عن إحراق مدنٍ وبلداتٍ بأكملها.

ومن منّا لا يذكر تلك الكلمات التي خطّها أهل «دوما» يوماً في بداية مظاهراتهم السلمية التي كتبوا فيها الآية الكريمة «ولئن بسطت يدك لتقتلني، فما أنا بباسطٍ يدي لأقتلك». لا يملك السوريون خياراً آخر حيال ما قام ويقوم به الأسد وجيشه «الباسل» سوى متابعة الطريق، ولا يملك السوريون سوى خيار إكمال ما تبقى لهم من خطواتٍ نحو الحرية والعدالة والمساواة التي خرجوا يوماً ينشدونها. فكما قيل ويقال: (نصف ثورة يعني الموت).

العمل المدني في الثورة السورية

عبد الرحمن مطر

لابد من القول بوضوح أن العمل المدني، الذي حرم منه السوريون لزمن طويل، قد مُني بانتكاسة كبيرة، نتيجة للتحديات الجمّة التي ما يزال يواجهها، ودفعت به إلى حافة الفشل. كان من الطبيعي أن تنشأ المشروعات والتجمعات، ومنظمات المجتمع المدني في سورية، ما بعد انتفاضة الخامس عشر من آذار/مارس، بصورة سريعة وكمّ كبير للغاية. فالحرمان من أوجه العمل المدني وبالطبع السياسي، كان يجري على الدوام ضمن سياسة قمعية منظمة ومدروسة، التزمت بها الزمر التي حكمت سوريا منذ آذار عام ١٩٦٣، وكان تجميد عمل المنظمات/ الجمعيات الأهلية- المدنية، ووضعها تحت رقابة الدولة، ووقف منح موافقات التسجيل، واحداً من أشد القرارات انعكاساً سلبياً على الحياة العامة في سورية، التي عمل النظام السياسي «الأمني- البعثي» على بعثرتها، وربطها بدوائره المباشرة.

جاءت ثورة السوريين ضد الاستبداد، بفرص كبيرة سنحت باستعادة العمل المدني، على نطاق واسع، امتد من تشكيل التنسيقيات والمنظمات، إلى مجالس الإدارة المدنية، في المناطق غير الخاضعة لسلطة النظام.

انتشرت بصورة ملفتة للاهتمام والدراسة كظاهرة جديدة في الحياة السورية المتمردة، وأتيح لمن شاء أن يؤسس فضاء للعمل المدني دون أية ضوابط أو رقابة، لكن ذلك كان له انعكاسات على مستوى الأداء الذي شابه كثير من الإشكاليات التي لم يستطع تجاوزها، فوقع أسيراً لها.

الواقع، إن العمل المدني لم ينقطع، رغم كل وسائل وأساليب القمع والتعذيب والترهيب التي مارسها النظام الأمني، ضد نخب العمل المدني السوري، على مدار خمسين عاماً. كما أن الثورة لم تأت من فراغ، فالعمل السياسي والثقافي والاجتماعي، الذي يهدف للتغيير، كان قد شكل الأرضية الملائمة، والبيئة المؤاتية لانطلاقة انتفاضة من أجل استعادة الحريات والكرامة. غير أن تسارع الأحداث على مستويات ثلاث: الربيع العربي في تونس ومصر وليبيا، و الشارع السوري المنتفض، عنف النظام السوري، أعاق العمل المدني عن الارتقاء أو اللحاق بها، كشفت قصوره عجزه، فتجاوزته. لتأت عملية «أسلحة ومن ثم أسلمة» الثورة، لتستبعده بصورة تدريجية عن الحراك الثوري.

اليوم، وبعد أربع سنوات، ليست هناك إحصائية دقيقة لمؤسسات العمل/ المجتمع المدني السوري. ذلك أن الانقسام الحادّ الذي طبع المعارضة السورية بمختلف تلوّناتها وتياراتها، انعكس على العمل المدني، الذي يمكننا أن نشير إلى جملة من أسباب هشاشته وانحسار دوره، وهي تتصل:

كان بوسع المجتمع المدني السوري، أن يقوم بدور أساسي وفعّال في الحياة العامة، كبديل لمؤسسات النظام يؤكد قدرة الثورة على تولي زمام المبادرة والقيام بمهام الدولة في المناطق التي يتم «تحريرها»، والذهاب إلى مرحلة انتقالية، تديرها كوادر العمل المدني في الثورة السورية. مرت المراحل الأولى من العمل المدني بفعالية متميزة، وشهدنا إدارات انتقالية ومجالس محلية في عدة مناطق سورية: ريف ادلب، وريف حلب وتل أبيض في ريف الرقة. كما أن تنسيقيات الداخل: دمشق وريفها، عملت بفعالية مؤثرة، فيما تولت مراكز وجمعيات أعمالاً حقوقية وإنسانية شكلت علامات مهمة في مسار الثورة السورية، شكل المثقفون بمختلف انشغالاتهم وانتماءاتهم مشهدها الحيوي المنتج بجدارة معرفية.

خضع الشباب السوري، لدورات تدريبية في مختلف مجالات العمل المدني/ الحقوقي، ضمن برامج تدريب أوربية – أميركية، وأخرى أشرفت عليها منظمات إقليمية ودولية. المحصلة بعد أربع سنوات من الثورة: النتائج، ذهبت أدراج الرياح!

لم تلبث الحالة السورية أن شهدت تألباً كبيراً، ضد العمل المدني، والمشتغلين في إطاره، مؤسسات وأفراد. ذلك هو التحدي الأساسي، الذي واجهه النشطاء، في مختلف المناطق السوري، وقد كان النظام سبّاقاً في استهدافهم عبر الاعتقال والقتل، مسكوناً برعب لا مثيل له مما يقوم به الحقوقيون والكتاب والإعلاميون، والعاملون في مجالات الإغاثة الإنسانية والمشافي الميدانية. تعرض هؤلاء للملاحقة والقتل والاختطاف منذ اليوم الأول للثورة السورية.

ولم يكن حال هذه الشريحة من السوريين، بأفضل في المناطق غير الخاضعة لسلطة النظام، فقد قامت قوى الحراك المسلح بفرض سلطتها، عبر إقصاء نشطاء العمل المدني، وإتباع المجالس المحلة لها بدءاً، قبل أن تقوم بحلها، ومن ثم ملاحقة النشطاء واغتيالهم واعتقالهم. فعلت ذلك جميع التشكيلات المسلحة دون استثناء، في كل المناطق التي باتت تحكمها الإرادات العسكرية.

يعتقل النظام عشرات الآلاف من النشطاء السلميين، دعاة ورموز العمل المدني، مثال فائق المير ومازن درويش، وعبد الكريم الخير.. كتاباً وفنانين وصحفيين آخرين كثر، فيما اختطفت مجموعات «أحرار الشام والنصرة وداعش» مئات النشطاء البارزين، من دعاة الحرية، الذين لم يستطع النظام الوصول إليهم لإخماد حركتهم : إسماعيل الحامض، عبد الله الخليل، فراس الحاج صالح، الأب باولو، وإبراهيم الغازي، عبود الحداد وعبيدة البطل.. سمر صالح وكثيرون آخرون، لا ينساهم ضمير الثورة السورية.

جماعة زهران علوش، مدانة – حتى يثبت العكس - باختطاف ناشطة من أهم موثقي جرائم الأسد، مديرة مركز توثيق الانتهاكات في سورية المحامية رزان زيتونة، والفريق المساند لها: سميرة الخليل ووائل حمادة، وناظم حمادي

لقد تعرض العمل المدني – ولا يزال – للإقصاء الممنهج، والتعتيم عليه، وعدم تمويله، ومحاولة تجيير أعماله لصالح قوى سياسية، ولم تقدم مؤسسات المعارضة الرسمية أي يدعم يمكنه من القيام بدوره. بالمقابل، ثمة إشكاليات جوهرية تتصل بطبيعة منظمات المجتمع المدني، من حيث التكوين والتمويل والتشبيك، ومن حيث أنشطتها ونتائج عملها، ثمة نجاحات وضعت بصمتها الحقيقية بجدية العمل والمثابرة، وثمة ما هو عبء قاد – مع أسباب أخرى، للنقمة العامة على المجتمع المدني ففقد فاعليته. يمكن الحديث عن ذلك في كتابة منفصلة.

بين الانكفاءِ والتمدد

طارق عبد الغفور

في منتصف هذا الشهر ومع صدور عدد الحرمل الخاص بها، تكون الثورة السورية قد أغلقت الباب على سنتها الرابعة، وفتحت باب سنتها الخامسة. ويترافق ولوجها السنة الخامسة مع استمرار وازدياد انكفاء الفعل الداخلي للمعارضة, وبروز سمة ليست جديدة كلياً تصبغ الفعل الخارجي لها. واستمرار انكفاء الفعل الداخلي لا تغيره الانتصارات التي حققها الثوار على الأرض في مرحلة ما في أواخر السنة المنصرمة على جبهة الجنوب, وفي الأسابيع والأيام الأخيرة على جبهة الشمال.

وُلد مؤتمر موسكو ميتاً, والأطراف البائسة التي شاركت فيه من وجوه الصفوف الخلفية في المعارضة ضيّعت أماكن جلوسها, وكان يمكن لهذه الولادة الميتة أن تدفع باتجاه إعادة تجميعٍ لقوى المعارضة السياسية, أو حتى باتجاه التفكير في إعادة هيكلتها لولا أن أصابها التعب، وهي التي تشكو أساساً من فقر الدم والهزال، وكلِّ أشكال الضعف البنيوي, فرحّلت، على ما يبدو، هموم إعادة التجميع أو إعادة التشكيل إلى مؤتمر القاهرة في نيسان المقبل.

ما بين موسكو والقاهرة أربعة أشهر قد تزيد أو قد تنقص, تمارس المعارضة فيها ترف الاسترخاء وكأنه لا براميلَ تهطل من السماء, ولا تسيل دماء, ولا يدمر بناء.

ولا ينسى بعض المعارضين أن يمارسوا هواية إنشاء كيانات معارِضة جديدة، نسأل الله أن تكون «قمحاً أو شعيراً أو عدساً» آخرَها لأنه لم يبقَ محلاتٌ إلا إذا بنينا ملاحقَ على سطح بناء المعارضة ذي الأساس الضعيف أصلاً, وقد نفعل.

الحديث عن انكفاء الفعل الداخلي للمعارضة لا يعقِّبُ إلا ندماً وحسرة. سيذهب المعارضون إلى القاهرة ليقدم كلٌ رؤيته , وقد يخرجون بورقة عمل لن تختلف عن أوراق العمل الموجودة على رفوفهم العالية إلا بما يستجيب لنصائح السفير فورد. أو قد يخرجون بخارطة طريق لا تدلهم على الاتجاه الصحيح.

في مقابل هذا الانكفاء يتمدد لاعبو الخارج كلٌ على طريقته. الإيرانيون لا يخجلون من إطلاق تصريحات تحمل من العنجهية ما يصعب تصوره, وكأنهم نسوا تماماً ماذا حل بهم في ثمانينات القرن الماضي، على يد بعض العرب الذين يريد لاريجاني أن يرجعهم إلى مكة كما كانوا قبل أن يحطموا عرش كسرى. وهو الأمر الذي يبدو أن الإيرانيين الفرس لم ينسوه وأنهم ما زالوا يحملون طعم مرارته على ألسنتهم ويريدون أن يثأروا له.

أحلامٌ إمبراطورية لم يعد التاريخ فقط هو الذي لا يسمح بعودتها بل إن التكوين الإيراني نفسه لا يسمح بذلك، فإيران دولة متهالكة اقتصادياً واجتماعياً, ولكنهم مع ذلك يحلمون بإرجاعها ولو على شاشات التلفزة, بينما بعض العرب الذين مرّغ بعضهم الآخر أنوفَ الإيرانيين بالتراب في زمن ليس بعيداً, نائمون ليس في العسل بل في عكسه, وهم لا يستطيعون إلا رداً خجولاً على تصريحات الإيرانيين من قبيل إننا - أي بعض العرب - نرفض التدخل الإيراني في شؤوننا الداخلية، ومن قبيل إن تلك التصريحات لا تساعد على استقرار المنطقة.. «ابشر بطول سلامة يا مربع». والأمريكيون هم الآخرون، لا يخجلون مما اعتادوا عليه من الكذب الصراح, وهم يطلقون تصريحات «نارية» من قبيل: إن بعض الضغط العسكري قد يكون مطلوباً لإحداث تغيير على الأرض يجبر الأسد على الدخول في مفاوضات مع المعارضة. ولا ندري ما الذي كان يمنعهم من ممارسته قبلاً, بل لماذا منعوا أصدقاءه وأصدقاء سوريا المفترضين من ممارسته؟؟.

ومن قبيل إن التمدد الإيراني يقلقهم ويقلق دول الخليج. من قال إنه يقلقهم ويقلقها؟ لو كان الأمر كذلك لما سمحت أميركا، ولا دول الخليج لإيران باحتلال العراق، واحتلال سوريا، وكانت قبلاً قد احتلت لبنان، ثم جاء دور اليمن, ولكانت فعلت شيئاً من قبيل ما تفعله إيران لا أكثر, وهو المطلوب منها أن تفعله ليس نصرة لسوريا أو للعراق أو لليمن, ولكن درءاً للخطر الداهم الزاحف إليها على رؤوس الأشهاد.

والأمريكيون على لسان السيد روبرت فورد يريدون من المعارضة السورية أن لا تضع شرط رحيل الأسد على رأس مطالبها, بل أن تتفاهم معه. قد كان يمكن ذلك في تموز ٢٠١١ عندما لم يتجاوز عدد الشهداء النصف مليون, وعندما لم يتجاوز عدد النازحين والمهجرين العشرة ملايين, وعندما لم «يدمر الأسد البلد». في تلك الأثناء لم يكن ما طلبه فورد من المعارضة هو النصائح الأمريكية, بل كانت تقترب من العكس, عندما تتحدث عن رحيل الأسد، وعن فقدانه شرعيتَه، وعن أنه لا يمكن أن يكون جزءاً من مستقبل سوريا.

هم يعرفون أن المعارضة أرادت ذلك في حينه, ولكنها وقعت بقصر نظرها في فخاخ

الأكاذيب الأميركية والغربية فاندفعت ثم ارتطمت بحائط اللامبالاة والغدر الأمريكي والغربي, بعد أن كانت سلمت دفةَ سفينتها للأمريكان و»أصدقائهم»، فلم تعد تستطيع أن تقول لا. وأظن إن مؤتمر القاهرة المقبل سيحمل شيئاً ايجابياً «لأصدقائنا الأمريكان».

ولا نغادر هذا المجال, فاستميح قارئ هذه السطور العذر لأني لا أفهم سر العلاقة بين ملف إيران النووي والملف السوري, ولا أفهم سر الترامي الأمريكي على الأقدام الإيرانية، والإصرار على الوصول مع نظام الملالي إلى اتفاق مرحلي أو نهائي يجمد النشاط النووي الإيراني عشر سنوات, مجازفاً بانقسام الطبقة السياسية الحاكمة في أمريكا بشكل لم يسبق له مثيل. ثم ماذا بعد هذه السنوات العشر. لا أفهم هذه العلاقة الأمريكية الإيرانية إلا على أنها - كما يقولون على رأي فيصل القاسم- رميٌ متعمدٌ لحلفاء أمريكا العرب وراء الظهر، واعتماد إيران قيّماً على المنطقة، ومخطِطاً، ومتحكِّماً في مصائر بلدانها وشعوبها بعد أن زُرعت أراضي هؤلاء الحلفاء قواعدَ ومُلئت جنوداً, فهل لم تكن هذه القواعد لتفيَ بالغرض أم لعلها قواعد خلبية ولزوم الديكور فقط.

العرب استهلكوا أمريكياً، وهم الآن ليسوا سوى مادة يستخدمها السياسيون الأمريكيون في تنفيذ مخطط مفكريهم في تصنيع الإسلام، الذي سيكون عدو الحضارة الغربية القادم بعد سقوط الشيوعية، وهو الذي تمثله داعش وكل من يؤمن بفكرها أو يقترب منه, لا الإسلام الحقيقي الذي ليس له حتى الآن منظرون يقدمونه كما يجب، ويذودون عنه كما يجب.

وفي هذا المجال تأتي تصريحات الجنرال ديمبسي التي لا تخلو من الخبث, حول ما سيكون في المنطقة بعد داعش التي لا يريدون القضاء عليها الآن بل احتواءها ودفعها إلى الصحراء بحيث يقل خطرها, فهي ما زالت ورقة لها دور في اللعبة الأمريكية, وانأ أميل إلى الاعتقاد أن تصريحات ديمبسي هذه لا تعدو كونها خارطة طريق وتعليمات مبطنة إلى المسؤولين العراقيين الطائفيين بمن فيهم مسؤولو الحشد الشعبي الطائفي لتنفيذ ما يقول دمبسي إنه يخشى منه.

الإيرانيون صفيقون, والأمريكيون لا يقلون صفاقة, وهم يلتقون على هدف إنهاك هذه الأمة، وتوجيه ضربة إليها تجعلها عاجزة عن التأثير في مصيرها نفسه، ناهيك عن التأثير في محيطها إلى عقود قادمة.

الدمار الآن في سوريا وليبيا واليمن, وغداً في مكان آخر إذا كنت أنا أستطيع تخمينه, فمن باب أولى أن يعرفه حق المعرفة أولئك الذين يتبلغون الرسائل مباشرة. لكني أعجب لما هم فيه سادرون, وأتساءل: أليس فيهم رجل رشيد؟.

ابنة سوريا الرقاوية «سعاد نوفل» تحصل على جائزة هومو هوميني

يوسف دعيس

منحت منظمة (الناس بحاجة) التشيكية جائزة هومو هوميني للناشطة السورية، ابنة الرقة سعاد نوفل، وذلك في حفل افتتاح مهرجان الأفلام الوثائقية (عالم واحد) الذي يقام سنوياً في العاصمة التشيكية براغ.

وبدأ افتتاح المهرجان بمقطع عن الدمار الذي تشهده المدن السورية، ومظاهرات من الرقة، تلاه تعريف بالناشطة سعاد نوفل التي استحقت الجائزة عن جدارة واستحقاق، والإشارة إلى مواقفها البطولية للتصدي للنظام الأسدي والجماعات الإرهابية التكفيرية بالكلمة والنضال السلمي، ثم قام وزير الثقافة وحقوق الإنسان التشيكي بتسليم الجائزة للناشطة نوفل وسط دموع الفرح والتصفيق الحار لاستحقاق إنساني حر.

وهومو هوميني هي عبارة لاتينية، معناها (إنسان لإنسان)، وتمنحها منظمة (الناس بحاجة) التشيكية منذ عام ١٩٩٤ وتُقدّم لأشخاص قاموا بنضال سلمي ضد الاستبداد والظلم، ويتم ترشيح أسماء من مختلف دول العالم، ويقوم المجلس المحلي للمنظمة بانتخاب صاحب الاستحقاق، وقد تم اختيار اسم سعاد نوفل لعام ٢٠١٤ وقد قدّمت أيضا في عام ٢٠١١ لمجموعة أطباء من مدينة دمشق، كانوا يعالجون الجرحى بالسر، أثناء المظاهرات بدمشق، والهدف من الجائزة تقدير الأشخاص المتفانين في العمل الميداني الإنساني، وتعزيز حقوق الإنسان عن طريق الديمقراطية والحلول غير العنفية للصراعات السياسية.

وقالت نوفل لصحيفة الحرمل: ألقيت كلمة بهذه المناسبة، وكانت تعابير وجوه الحاضرين دهشة مما أقول وكأنّهم لأول مرّة يسمعون بأنّ الأسد هو من يقتل شعبه، وقد أدمعت عيون الكثير من الحاضرين، والتف الكثير من حولي، معبرين عن دهشتهم من امرأة سورية تشرح بجرأة إجرام النظام الأسدي، علماً أن معظمهم، كانوا يعتقدون أنّ الأسد يحارب الإرهاب، فيما اليوم تقوم هذه المرأة بشرح مجازر الأسد وميلشياته الطائفية.

وتضيف نوفل: الهدف من ذهابي إلى براغ ليس استلام الجائزة فحسب، بل اعتبرت أن الجائزة هي بوّابة ومنبر أردّت من خلالها أن أوصل صوت السوريين ممن يموتون في الداخل ولا أحد يكترث بهم، أردّت أن أغيّر ولو لجزء من الناس أنّ الأسد هو الإرهابي الأول، أردّت أن يفهم العالم بأنّ ما بين إرهاب الأسد وإرهاب الجماعات المتطرفة التي، تسبب بوجودها، هناك شعب يُحرق بالبراميل ويُذبح بأيدي ميليشيات إيران وحزب الله، ويموت من الجوع، شعب يعيش في المنافي والخيام ويتجمّد من البرد والصقيع، شعب يغرق وهو يهرب من بطش الأسد، أردت أن أكشف عيوب العالم المتخاذل الذي يقف مع القاتل بدل أن يدعم قضيتنا.

وتختتم نوفل حديثها قائلة: باعتقادي أن الثورة كشفت العدو من الصديق، حتى السوريين أنفسهم، ظهر بشكل واضح من هو السوري الحقيقي وابن الأرض، ومن هو سوري فقط بالبطاقة الشخصية، الثورة كشفت معادن الناس وخبايا نفوسهم، وعتبنا ليس فقط على تخاذل العالم، بل عتبنا الأكبر ومصيبتنا هي بمن جعل من الثورة غنيمة وصيداً ثميناً لا بد من الاستفادة منه، ولو على حساب من ضحوا بدمائهم لأجل حريتنا، على السوريين أن يقفوا ويتفكّروا بدماء خيرة الشباب الذين ما زالوا بين أنياب الجلاوزة في سجون النظام والجماعات المتطرفة، أن يتفكّروا بالأطفال الذين فقدوا أهاليهم، والكثير منهم فقد قدمه أو يده، علينا جميعاً أن نعود بالذاكرة إلى البدايات لنكون قادرين على رسم النهاية التي تليق بتضحيات السوريين.

العاصمة التشيكية براغ تحتفي كلمة سعاد نوفل في حفل استلام الجائزة ٢ آذار ٢٠١٥

بداية اسمحوا لي أن أشكر منظمة (الناس بحاجة) تكريمهم لي بجائزة هومو هيومني لحقوق الإنسان، وفخورة أنها اختارت إحدى النساء السوريات، وهذا شرف أحمله وساماً على صدري، اعذروني لست بالسياسية، لكنني امرأة خرجت من بلد محروم من أبسط حقوقه، وهو حرية الرأي، بلد ثار في وجه جلاده الذي يحتلها منذ أكثر من أربعين عاماً بسياسة العصا وكم الأفواه، هذا النظام الديكتاتوري الذي استباح دماء الناس، ولم يتوانَ عن استخدام كل أساليب العنف والقتل بسبب مطالبتنا الشرعية لحريتنا المغتصبة، لم نطلب الكثير فقط حياة كما الآخرين، سأخاطب العالم الذي ينادي بالديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحرية الرأي، سأتكلم نيابة عن كل سوري، مقهور ومظلوم، مقصوف ومحاصر، معتقل ومخطوف.

منذ أربع سنوات وآلة الإجرام الأسدية لم تتوقف عن سفك دماء السوريين في القصير والحولة والتريمسة وكرم الزيتون، الذين قضوا أهلها ذبحاً بسكاكين ميلشيات الأسد، وحزب اللاة. منذ بداية الثورة، صواريخ وبراميل الموت لم تميز بين طفل وامرأة، شاب وعجوز، في دوما وجوبر وحلب والشيخ مسكين، في الرقة وريف إدلب، مجزرة الكيماوي في غوطة دمشق، قضى فيها أكثر من ١٤٥٠ شهيد، الغالبية من الأطفال والنساء، اختناقاً بالغازات السامة، بصواريخ النظام، وعلى مرأى من العالم، آلاف من المعتقلين في أقبية الأسد، جرى تعذيبهم حتى الموت، ثم حرقهم، أو رميهم في الأنهار، ونهر قويق في حلب، ونهر العاصي في حمص يشهدان تلك المجازر، فيما لا يسعى العالم لتخليص من تبقى من الموت المؤكد في سجون النظام وفي سجون الجماعات المتطرفة، مئات المجازر ارتكبتها عصابات الأسد، وقد نحتاج إلى سنة كاملة لإحصائها، أكثر من ٥٠٠ ألف شهيد، وأكثر من تسعة ملايين مشرد ومهجر، ما بين الداخل السوري والخارج، جيل من الأطفال يحملون إعاقات جسدية ونفسية.

منذ انطلاقة الثورة خطت شبيحة الأسد على جدران المدن السورية عبارة «الأسد أو نحرق البلد»، وفعلاً قاموا بحرقه، كل هذا الإجرام مغيب تماماً عن العالم، والإعلام يردد مقولة الأسد يحارب الإرهاب، لكل من يقول هذه العبارة، فليتفضل إلى سوريا وسيرى بعينه براميل الموت كيف تسقط على رؤوس المدنيين الأبرياء، في المدارس، في المشافي والتجمعات السكنية والأسواق، سيرى كيف يرمي القناص رصاصة على من يخرج بحثاً عن رغيف خبز لأطفاله، وقد تطالك أنت هذه الرصاصة، نحن السوريين فقط من يحق لنا ترتيب أعدائنا لأننا نحن من وقع علينا القتل والتشرد، فالأسد هو الإرهابي الأول، والمجرم الأول، والجماعات المتطرفة التي وجدت في سوريا، هو من تسبب بوجودها، فالمشهد الحالي هو من صناعة هذا النظام الإرهابي، فلكل سبب نتيجة، وهذه الجماعات هي نتيجة إجرام النظام الأسدي، نحن ضد أي تطرف من أية جهة كانت، ما نسعى له سوريا حرة ديمقراطية، ولم تكن ثورتنا إلا لذلك.

صمت العالم عن إجرام الأسد ليس له مبرر ولا تفسير، فالوقوف مع القاتل هو جريمة بحق الإنسانية، وبحق شعب كامل يُباد بيد من يسمي نفسه حاكماً، وهو بالحقيقة قاتل، إن كانت الذريعة بأن هناك جماعات متطرفة. علينا جميعاً أن نعمل لإسقاط نظام الأسد ومع سقوطه، ستسقط كل قوى التطرف الأخرى، فكلاهما إرهاب.

كثير من العالم لم تصلهم صور مجازر النظام، وهنا

عليكم أن تعذروا الناشطين الموجودين في الداخل، فليس لديهم إمكانيات لتصوير أفلام هوليودية عن تلك المجازر، وكل ما لديهم كاميرا موبايل صغيرة تلاحقها رصاصة القناص أو البرميل، قبل أن تلتقط صور أجساد أطفالنا وهي تحترق، وقبل أن تدفن العوائل تحت ركام بيوتها المقصوفة.

السيدات والسادة لا بد من الوقوف مع شعبنا المكلوم، لتخليصه من الموت اليومي بأيدي أعتى نظام إرهابي، وهو نظام الأسد، وبالنهاية ثورات الشعوب هي التي ستنتصر، وهذا أملنا.

أود أن أنوه إلى أمر، هذه الجائزة هي استحقاق لكل سوري عبر عن رأيه واستشهد، لكل من دافع عن حريته وكرامته، الجائزة لمصطفى الزنا وباسل شحاذة وقاشوش الثورة، لحمزة الخطيب وهاجر، هي لكل معتقل ومخطوف في سجون الأسد أو الجماعات المتطرفة، الجائزة لطبيب الثورة إسماعيل الحامض، ومازن درويش، ومدثر الحسن، وسميرة الخليل، ومحمد نور مطر، لكل من هتفت حنجرته في وجه القهر والظلم، الجائزة لفراس الحاج صالح ورزان وفائق المير، ولمن تشرد وصمد، هي لرسول الثورة السورية الأب باولو، جئت لاستلامها نيابة عن أطفال الصقيع والمنافي، الجائزة هي لثورة السوريين اليتيمة، ولا بديل لنا عن الحرية، الشكر لمنظمة «بناة محتاجون» والشكر للحضور الكريم.

سوريون في كل بلدان العالم يحتفون بالذكرى الرابعة للثورة السورية

حلب

أورفا ـ تركيا

استراليا

اوسلو ـ النرويج

باريس ـ فرنسا

عينتاب ـ تركيا

النرويج

النمسا

مراسلون بلا حدود تكرم الصحفية السورية "زينة أرحيم"

زينة أرحيم الصحافية السورية عرفتها المدن السورية ومنها الرقة، وعرفها أبناء الرقة عندما كانت تدرب الكوادر الشابة على العمل الصحافي، ومهارات العمل التواصل والنشر، وقد كانت موجودة في الرقة، إبان تحريرها، وقبل تغول المتطرفين على الرقة، ابتداءا من خطف الأب باولو، وغيره من الناشطين، وقد كانت زينة أرحيم في الرقة حينها ، حيث كانت الرقة تعج بالنقاشات والحوارات الحرة.

وقد كرّمت منظمة مراسلون بلا حدود الصحفية السورية زينة أرحيم، تقديراً لعملها الصحفي الذي تقوم به في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، شمال سوريا. مهتمّة بتدريب المواطنين الصحفيين في المنطقة، ومواجهة مصاعب ومخاطر كثيرة في سياق أدائها لنشاطها المهني.

زينة أرحيم: صحفية ومشرفة على التدريب الإعلامي في شمال سوريا

وجاء في بيان تكريم الصحفية "أرحيم" ما يلي:

تخرجت زينة ارحيم من جامعة دمشق عام ٢٠٠٧، لتواصل دراستها في لندن إبّان اندلاع الثورة السورية في ٢٠١١. حينها ترسخت في ذهن الإعلامية الشابة فكرة العودة إلى وطنها، حيث سافرت إلى سوريا في مناسبات عدة وشاركت في تأسيس المكتب الإعلامي للجان التنسيق المحلية قبل أن تنال شهادة الماجستير في الصحافة الدولية عام ٢٠١٢.

وقال تقرير مراسلون بلا حدود، أن زينة ارحيم تمكنت من التسلل مراراً إلى المناطق المحررة تحت دوي القصف، حيث من السهل "إحصاء أعداد الشهداء والبراميل المتفجرة"، بينما يشكل البقاء على قيد الحياة تحدياً متواصلاً. بيد أنها تحرص في المقابل على توثيق مظاهر الحياة اليومية كذلك، فتجدها تنقل واقع "التجارالذين مازالوا يبيعون الفواكه والخضار على أنقاض المباني التي هدمتها نيران القصف {...}، أو الأطفال الذين يلعبون وسط المقابر بعد الخروج من المدرسة."

وتؤكد ارحيم أنه من الصعب للغاية أن "تَهَبَ أُم عينك للعالم حتى يرى الناس ما تراه". ولأن تحقيق ذلك يبقى أمراً بالغ التعقيد وغير كافٍ بتاتاً، فقد آثرت هذه الصحفية السورية على نفسها مساعدة الفاعلين الإعلاميين المعروفين باسم الصحفيين-المواطنين، أي أولئك الذين أصبحوا يشكلون تقريباً المصدر الوحيد للمعلومات في البلاد. فإدراكاً منها لمدى صعوبة عملهم، حيث يعرضون حياتهم للخطر في سبيل نقل الأخبار، أصبحت تتولى مهمة تدريبهم منذ عام ٢٠١٣، حتى تُنشر صورهم ومقالاتهم وتُحمل على محمل الجد.

منذ عامين، تدرب ارحيم الصحفيين-المواطنين في حلب والرقة ودير الزور وإدلب لمساعدتهم على تعلم كيفية صياغة المواد الإعلامية وبنائها ومن ثم نشرها، حيث أصبح "بعضهم يكتبون في وسائل إعلام دولية، كما أنه من المثلج للصدر رؤية أحد الناشطين يحصل على وظيفة في إحدى القنوات التلفزيونية". وبالإضافة إلى تلقينهم ما في جعبتها من معارف، فإنها تبعث فيهم روح الشغف التي تميزها. فسيراً على خطاها، يعمل هؤلاء الرجال والنساء بكاميراتهم وأقلامهم في سبيل إماطة اللثام عن دوامة العنف التي تهز وطنهم، بينما يحرصون في المقابل على تسليط الضوء على الوجه الآخر للبلاد، حيث ينقلون أيضاً صورة سوريا التي "يتحاب فيها الناس ويتزوجون ويربطون علاقات صداقة وينجبون الأطفال، {...} حيث يقاتل شعب مذهل في سبيل مستقبله."

إنها صورة سوريا المُشِعَّة في عيني زينة.

وكانت مراسلون بلا حدود قد كرمت عشر صحفيات بارزات حول العالم، بمناسبة يوم المرأة العالمي ٨ آذار، من بينهنّ أرحيم. ووصفت المنظمة عمل الصحفيات في بيانها قائلة: "اختارت بعض الصحفيات الانتقال إلى المجال الاستقصائي وفضح انتهاكات حقوق الإنسان والفساد أو تخطي الخطوط الحمراء في مجتمعاتهن".

إن فوز الصحافية زينة أرحيم بمثل هذه الجائزة العالمية، يعتبر نصرا للمرأة السورية، وحافزا للأجيال الجديدة من الناشطين السوريين، لاختراق حاجز الصمت والتجاهل الذي يدفن ذكر شهداء الثورة السورية، و يبعد مطالبات الثورة السورية بالحرية عن الإعلام العالمي ، وهو بالتأكيد ولادة لجيل جديد من الإعلاميين السوريين الذين سيبنون سورية الجديدة والحرة.

كلنا شركاء ـ الحرمل

«أشجع امرأة» في العالم هي امرأة سورية.. اسمها مجد شربجي

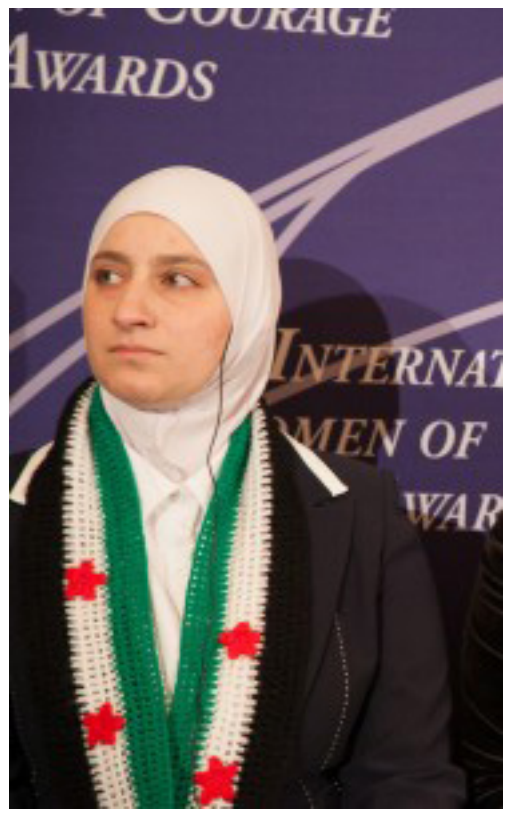

في يوم المرأة العالمي تتصدر المرأة السورية الكثير من المنابر العالمية اعترافاً لها بشجاعتها وبقدرتها على التصدي للظلم والقهر الذي يحيق بالشعب السوري.

فقد حازت الناشطة السورية «مجد عزت شربجي» على الجائزة الدولية للمرأة الشجاعة، والتي تقدمها وزارة الخارجية الأميركية كل عام بمناسبة يوم المرأة العالمي، وقامت باستلامها في العاصمة الأميركية بحضور نائبة وزير الخارجية الأميركي.

وقالت مجد شربجي لـ«العربي الجديد»: «نشاطي في الثورة كان مدنياً وسلمياً. قبل اعتقالي عملنا على تنظيم اعتصامات من أجل إطلاق سراح المعتقلين، وبعد فترة الاعتقال التي استمرت سبعة أشهر تابعت في النشاط نفسه، بالإضافة إلى العمل على تمكين النساء السوريات بعدة مجالات، منها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، لأني مؤمنة تماماً أن للمرأة دوراً كبيراً في حل النزاع في سورية».

ومجد من مواليد داريا عام ١٩٨١، وهي أم لثلاثة أطفال، وواجهت العديد من التحديات خلال أربعة أعوام من عمر الثورة السورية، منها التهجير والاعتقال والغربة، وأخيراً استشهاد زوجها تحت التعذيب في أكتوبر/ تشرين الأول من العام الماضي، لكنها تؤكد أن «الصعوبات التي مرت بها كانت الحافز الأكبر للاستمرار والمتابعة».

وتضيف «عملنا على تمكين الأسرة السورية بشكل عام، لأن معظم مشاكل الثورة اليوم، جاءت من قلة الوعي والضغط الذي مورس عليها من نظام قمعي على مدار أكثر من ٤٥ عاماً».

وتعليقاً على الجائزة قالت: «الجائزة بمثابة منبر للكثير من الأصوات المقموعة، بالتأكيد هناك الكثير من السوريات الشجاعات، لكنهن لم يستطعن إيصال أصواتهن، لكن يؤلمني أن أستلم الجائزة من دولة تنادي بحقوق الإنسان، ولم تسعَ لمساعدة الإنسان في سورية».

وتؤكد أن حلمها لن يكتمل إلا برؤية بلدها سورية حراً ديمقراطياً، «بعد كل هذه التضحيات لا يمكن إلا أن نكون كذلك، مهما استغرقنا من الوقت لن نستسلم أو نيأس. لن ننسى دماء الشهداء وأنين المعتقلين».

يذكر أن سوريتين حصدتا الجائزة نفسها سابقا، هما الراهبة «ماري كلود نداف» عام ٢٠١٠ لنشاطها في دعم النساء المعنّفات، والناشطة الحقوقية رزان زيتونة عام ٢٠١٣، التي اختطفت وزملاؤها في مدينة دوما في ريف دمشق، وما تزال مختفية حتى اليوم.

وبهذه المناسبة لا بد من توجيه الشكر لمجد شربجي ولكل الناشطات السوريات، ولمعتقلاتنا الحرات، وللأمهات اللواتي يحملن عبء عائلاتهن وإعالتها، وينتظرن أزواجهن، وبناتهن، وأبناءهن المعتقلين، ولكل النساء السوريات اللواتي يتحدين الظلم والقهر والتطرف، ويحلمن بسورية الجديدة الخالية من كل أنواع القهر، وأن سورية القادمة ستكون بجهود بناتها وأبنائها جنة للحرية.

Bir şehri yazmak — رسالة مدينة

Bir şehri yazmak için tarihçi mi yoksa arkeolog mu olmak gerekir? Türkiye Yazarlar Birliğinin geleneksel olarak devem ettirdiği "٣.Şehir Tarihi Yazarları Kongresi" bir nevi bu soruya yönelik bir cevaptı.

İlkin Ankara'da daha sonra Konya'da ve üçüncüsünü de peygamberler şehri Urfa'da idrak ettiğimiz bu kongre birçok ülkeden şehir tarihi üzerine yazılar yazan tarihçi, akademisyen ve yazarın buluştuğu bir sempozyum niteliğindeydi.

Şehirleri yönetenler için bu etkinliklerin önemine binaen şu hatırayı paylaşmak elzem oldu. Bir vakit adını hatırladığım fakat paylaşma ihtiyacını duymadığım bir yazarı bir belediye başkanı davet eder. Belediye başkanı, bu yazardan şehir hakkında bir kitap yazmasını ister ve yazara da kalmak istediğin kadar şehrimde kalabilirsin, der. Otel, ev, araba ne istersen vereyim, der. Ve yazar sonunda bir kitap yazar. Akıllı adam kendi aklını, daha akıllı adam başkalarının aklını da kullanır. Bu manada Şehir Yazarları Kongresini kendi şehrinde himaye eden şehrin yöneticileri bir değil birçok yazarın fikrinden, aklından ve görüşünden istifade etmiştir. Şehri kurgularken planlamacısı, mimar, inşaat mühendisi yanında bir de şehir tarihi yazarlarından istifade etmesi gerekmez mi.

Bizim de ikinci gün tebliğimiz vardı. "Tarihte Şehir ve Nehir" konulu tebliğim, Efsane Nehir Fırat kitabımızdan yola çıkarak diğer nehirlerin de şehirler üzerindeki etkisini hatta şehirlerin nehirler üzerindeki etkisine değindim. Londra'daki Thames nehrinden Tuna nehrine, Tuna Nehrinin Buda ve Peşte diye iki şehri bir araya nasıl getirdiğinden bahsettim. Normal olan şey, nehirler şehirleri tam ortadan ikiye bölerken Budapeşte'de ise bu iki şehir nehir dolayısıyla bir araya geliyor, birleşiyor. Daha sonra kadim nehirlerimizden Fırat'ın ve Dicle'nin şehirler üzerindeki etkisinden bahsederken benden önceki tebliği sunan zatın tebliğine de katkıda bulunmuştum. Onun tebliği Harput üzerineydi. Ve ona gelen bir soru şöyleydi: "Harput, Urfa ve Kerkük türküleri neden birbirine benzer yapıdadır?" Hocamız benim tebliğime atıfta bulunarak "Şehir ve Nehir" tebliğini dinlediyseniz Fırat Nehrinin havzasında bulunan bu üç şehrin türküleri de benzer olması doğaldır." demişti.

Buradan yola çıkıp Nil nehrinden de bahsetmiştim. Mısırlıların ilkel inanışlarından olan Nil nehrinin taşması, Amon-ra diye adlandırdıkları su tanrılarının kızgınlığına bağlıyorlardı. Ve bunun için her yıl nehir taştığında ya da kuruduğunda genç bir kızı süsleyip nehre atıyorlardı. Bu ilkel ve çirkin inanış, tâ İslamiyet'in Mısır'ı şereflendirmesine kadar devam etti. Bu durum Halife Hz. Ömer'e intikal edildikten sonra şöyle bir çözüm geliştirilmiş. Nil nehri kenarında bir tören düzenlenmiş ve burada oyuncak bir bebek ile birlikte Hz. Ömer'in yazdığı bir mektup Nil nehrine atılır. Ve böylece Nil Nehrinin taşması veyahut da taşmaması meselesinden çok coğrafi olay karşısında yapılan çirkin bir davranışın önüne geçilmiş olundu. Bu da Mısır'ın İslam'la şereflenmesinin bir muştusu olsa gerek.

Tebliğim öncesinde Mehmet Doğan hocamızla sohbet ederken onun teveccühlerine mazhar oldum ki kendisi "Türk Kimliğinin Coğrafyaları" adlı kitabından bahsetmişti. Kitapta Köhne Ürgenç Şehrinden bahsetmişti. Bu şehir 1500 yıllarında Ceyhun (Amuderya) nehrinin yatağının değişmesi nedeniyle terk edilir. Ve şehir yeni Ürgenç diye bir yerleşim yerine taşınırmış. Mehmet Doğan Hocanın verdiği bu bilgileri de tebliğimde sundum.

Bunu sunarken Tarihî Harran şehrinin de benzer bir macera yaşadığını tebliğimde sundum. İlginçtir ki Fırat nehrinin Harran'a akan kolları kuruyunca Harran'daki âlimler ve diğer elit tabaka yanı başındaki Urfa'ya değil de o dönem Endülüs Emevilerinin kurduğu Kurtuba'ya gitmişlerdi. Bu arada Harran şehrinin Emevi devletinin son başkenti olduğunu hatırdan çıkarmayalım.

Not: Kongreyi icralarından dolayı Şanlıurfa Büyükşehir Belediye Başkanı Celalettin Güvenç beyi tebrik ederim. Ayrıca kongrenin icrasında yer alan Mehmet Doğan, Hicabi Kırlangıç, Ferhat Koç, Cuma Ağaç ve Suphi Çiçek abilerimizi kutlarım. Ayrıca emeği geçen diğer isimsiz kahramanları da kutluyorum.

Eyyup Azlal

حقوق الإنسان السوري في القانون التركي

المحامي : كمال آغار

كوننا بشر ومن دون تمييز اللغة والدين والعرق والمذهب أو اللون, ومهما تكن حياتنا الخاصة الكل متساوون وبحماية القانون. ومن خلال هذا المبدأ الدستوري وخلال السنوات الأربعة الأخيرة وفد إلينا أشقاؤنا السوريون هاربين من الحرب الأهلية هنالك «لا أقول إنساننا لأننا نعيش بجغرافية واحدة ونتقاسمها. فكل إنسان إنساننا «فهم بحماية القانون التركي مادامو هم في تركيا وحقوقهم مصانة.

- ففي المادة الثانية من دستور الجمهورية التركية: «الجمهورية التركية دولة القانون»

- وكذلك ورد بالمادة العاشرة من الدستور عبارة «كل شخص», يفيد ذلك كل شخص يقطن ضمن الخريطة والحدود التركية, سواء كان من المواطنين الأتراك أو غير الأتراك, مجرد وجودهم ضمن الحدود التركية فهم متساوون بالحقوق ويستفيدون من ذلك

- وفي المادة ١٧ من دستور الجمهورية التركية ورد : «إن الوجود المادي والمعنوي لكل شخص مصان, بما في ذلك تطوره من يوم ولادته».

- كذلك نص المادة ١٩ من الدستور التركي: «أمن وحرية كل شخص مصانة ومحمية»

- كذلك في المادة ١٢٥ من الدستور التركي: «جميع الطرق مفتوحة للتعويض عن الأضرار الناجمة عن أعمال الإدارة».

ومن خلال تلك المبادئ: إذا كان المتضرر سورياً كان له الحق بالتعويض, وتلتزم الإدارة بالتعويض عن تلك الأضرار ويستطيع المتضرر إقامة الدعاوى أمام المحاكم الإدارية والحكم له بالتعويض وخير مثال على ذلك: في مخيم أنطاكية توفي شخصان نتيجة نشوب حريق في المخيم فألزمت المحكمة الجمهورية التركية بالتعويض لورثة المتوفين كون حماية المخيم يقع على عاتق الإدارة التركية وبحماية القانون والدستور التركي.

وبالنتيجة: إذا كان إخواننا السوريون موجودين في تركيا وبشكل مؤقت وضيوف فهم بحماية القانون والدستور التركي وهذا نتيجة لكون تركيا دولة قانون.

ترجمة : أكرم دادا

ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع بيت الرقة لكل السوريين
رئيس مجلس الإدارة: بسام البليبل – رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس
هيئة التحرير: خلف الجربوع، أسعد فخري، إبراهيم العلوش، عروة المهاوش، محمد صليبي، إياس المحمد
المحتوى الفني: مصطفى سليمان، عبدالرحمن الهويدي
ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete
SAYI:3 YIL: 2014 (1) - İMTİYAZ SAHİBİ: ŞÜKRÜ KIRBOĞA - EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED
BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33

للتواصل عبر فيس بوك Facebook.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر تويتر Twitter.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر البريد الإلكتروني Alharmal.journal@gmail.com
Atatürk Mah7-.sk. NO = 9. ŞanliUrfa MOB: 00905459679973

كرامة مع خبز..
حرية دون شهداء.

يوسف عبدلكي

زاوية حرة

حرب شرسة لاستئصال الثورة السورية

د. سماح هدايا

الحقيقة ليست بالضرورة حقيقة، لكنها تصبح حقيقة بما يصنعه الإعلام بها بالتحايل والادعاء والتحطيم.

التاريخ في سوريا على مفترق طريقين: التزوير والتفكيك أو التجذير والبناء.

السياسة العالمية أدارت بالإعلام خطاباً سياسياً لثورة سوريا، شكّل الحقائق والمفاهيم للواقع على رغبته. فمتى تدير السياسة الوطنية الثورية خطاباً سياسياً يشكل الحقائق الوطنية والمفاهيم؟. ومع أن مشهد الثورة حبل من المآسي يمتد على الأرض معّلق على مرأى البشر، فالفعل السياسي الوطني والدولي لم يوازِ قطعة ألم واحدة للسوريين.

الحرب الفظيعة هدت النفوس في تيه المأساة، عائلات طحنتها الحرب وتاريخ أمة قيد الإبادة، لكن لا جدوى من لوم العالم، الذي يبقى صاحب الشأن في قولبة التاريخ هو موقف الناس والشعب، فالتاريخ تصنع مفاصل سيره إرادة التغيير، ومن أجل التغيير لا بد من العمل في مسارين:

الأول: خدمة وحلول تتعاطى مع معطيات الواقع الحالي ومتطلباته.

الثاني: أفعال لخدمة مستقبلية، وخطة عمل قابلة للتنفيذ الواقعي في المستقبل.

يجب العمل ضمن هاتين الرؤيتين، فالقادم يتطلب استراتيجيات عمل وتخطيطاً بعيد المدى، والحالي يتطلب حلولاً إسعافية، وخطة عمل للإنقاذ الإنساني والوطني، واحتواء المشاكل ودعم الضعفاء.

توازي المسارين مهم جداً ويتطلب وعياً متطوراً وجهداً جدياً؛ لأن الثورات تأتي في طريق التغيير بالكوارث، ويلزمها أقوياء أحرار مدركون لدورهم التاريخي، قادرون على العطاء بسخاء فائق النظير، وعلى تكسير الجانب المظلم الأناني الفوضوي، مما نشأ فيهم وترسّخ بتربية القهر والاستبداد والجهل، وعلى الرغم من الانحراف عن المسار؛ فإنّ جهوداً عظيمة تبذلها المقاومة في ظل الحرب والثورة، لكن الشيء الثمين يتحقق في ديمومة الكفاح بوعي وتصميم.

الثورة التي تحوّلت إلى حرب تفرض على البشر تطوير التفكير، والعواطف لاحتواء المستجدات والسيطرة على الواقع.

العالم يتجه نحو تقليص مفهوم الحرية إلى مطالب دنيا، وخدمات ضيقة، وتمديد العبودية، والقوانين التي تسنّها الدول الكبرى لا يبدو أنّها تنصب في صالح مسار ثورة الحرية، ما زلنا ننظر للمشاكل كنتائج، ولا نأتي للمشكلة في أساسها، وهو الطغيان، ونظام الاستبداد والقهر.

ليس هناك قوانين تحدد الغالب والمغلوب، بل هناك تجارب ومعايير للنجاح والفشل، الإنسان يدخل التجارب التي تصقل إرادته ورؤيته. وتجربة الشعب السوري صعبة سياسياً واجتماعياً وإنسانياً وأخلاقياً، فيها الصدمة والترويع، لكن لولا دخول الشعب السوري في الثورة وخوضه الحرب الكبرى؛ لما كان عرف الحقيقة، ولا كان أسهم في صناعة الواقع.

فهم الواقع ومشاكله كان مغيباً على الناس، إدراكه مهما كان مغموساً بالدماء والتضحيات والتجارب المؤلمة، سيضع المسار للحل الصحيح. التجربة لا يستهان فيها والتحديات كبيرة، لكن بعد مرور أربع سنوات على الثورة وحربها، أسئلة كثيرة تتطلب إجابات على جميع الأصعدة:

أين هو الفكر الذي يجب أن يتصدى للحرب ولمشروع بناء الدولة؟ ماذا انبثق عن مصطلحات عامة كالديمقراطية والعلمانية والمواطنة؟ أين المشروع الفكري والسياسي؟ ما السبيل لتقويض نظام الفوضى والغوغائية والجهل والانتهازية والجشع في ظل ولاءات للمشاريع العالمية المضادة للحريات، وتبعيات تكرّس التشرذم والانقسام والتخوين والاستغلال؟.

الحرب السوريّة أكبر من صراع أهلي، أو من ثورة مضادة لثورة، هي صراع أممي في سوريا كجزء جغرافي وتاريخي استراتيجي مؤثر في مصير المنطقة. لا أفق لهذه المعارضات، والحركات ضمن تنظّمها في أطياف وجماعات متقاتلة، متضاربة المصالح؛ إن لم يصبح الهم الوطني هو الجامع في إطار إنساني وأخلاقي ونهضوي؛ فالحلول أشبه بعبث وضرب من الوهم.

يجب على السياسيين والمفكرين وعلى الإعلام السوري الجديد، وعلى المنظمات وأطياف المعارضة ومؤسساتها وممثليها ومعارضيها تحمّل مسؤولية جماعية لما يحدث.

الشباب الذي حرم من العدالة والحرية، ولم يحظَ بقسط من الكرامة قدمت له الدعوات الدينية سبلاً للرضا واحترام الذات ومحاربة الباغي والمعتدي. وكان قدرهم أن يغوصوا في فكر ضحل آسن، فماذا قدم الآخرون من السلميين والإسلاميين والعلمانيين واليساريين والقوميين والحداثيين؟ هل عملت مختلف ضروب المعارضة على إيجاد تيارات فكرية وإنسانية جامعة تستقطب هؤلاء المضطهدين الخارجين من ظلمة وعزلة طويلتين ووجدوا في الفوضى والقهر وأجواء انتفاضات جماهيرية مطالبة بالحرية الجو المناسب لتمارس أصولية دينية تقودها في ظروف القهر إلى العنف المشرعن، ويمكن استغلالها إقليمياً ودولياً، وتطويعها وفق مشروع مضاد لحركات التحرر الوطني، وللحركات الدينية الرشيدة وللحركات الوطنية الجيدة.

العالم يتغير، ويمر بأزمات وصراعات، وسورية الآن تدمر نتيجة هذه الصراعات الدولية، والشعب السوري يجب أن يتوحد على موقف، ويخلص للمبدأ الوطني، لكن ذلك يتطلب قيادة ومشروعاً جامعاً ذا مصداقية.

لا يمكن أن ينجح في سوريا مشروع سياسي وأخلاقي من دون أن يكون مرتبطاً بالإنسان والقاعدة الشعبية وضميرها، الصراع سيستمر لسنوات، والوضع خطير والاستقطاب يدور بقوة وشدة. والأزمة الاقتصادية ستنعكس بصراع أكبر، المعركة بحاجة للناس العاقلين وللإنسانيين لكي يحسنوا السير والقيادة.

COOPÉRATION MÉDIAS

الوكالة الفرنسية للتعاون الإعلامي

الحرمل

مجلة الحرمل تدعو المؤسسات والأفراد إلى دعم استمراريتها وإستقلالها، من خلال الاشتراك والإعلان فيها، وذلك بالإتصال على هاتف المجلة رقم: (٠٥٤٥٩٦٧٩٩٧٣) أو مراجعة مقرها (أورفا - ساحة المدفع)

السنة الأولى / العدد الثاني عشر / 15 آذار 2015

الآراء التي تنشر بالمجلة تعبر عن رأي أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المجلة